سورة البقرة

﴿الٓمٓ﴾ الحروف المقطَّعة للتنبيه على إعجاز القرآن، وأنه منظوم من أمثال هذه الحروف، فإن شكُّوا فليأتوا بسورة من مثل القرآن ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ لا شكَّ أنه من عند الله ﴿لِّلْمُتَّقِينَ﴾ الذين اتقوا سَخَط الله، بامتثال أوامره واجتناب نواهيه ﴿بِالْغَيْبِ﴾ كل ما خفي عن حواسهم، كالجنة والنار، والملائكة والجن، والصراط والميزان ﴿وَيُقِيمُونَ الصَّلَوٰةَ﴾ يؤدُّونها على الوجه الأكمل، بأركانها وخشوعها وآدابها ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾ يتصدَّقون في وجوه البر والإحسان، من بعض المال الذي أكرمناهم به، وهي تشمل الزكاة وسائر الإنفاق ﴿بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾ من القرآن العظيم ﴿وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ﴾ سائر الكتب السماوية ﴿يُوقِنُونَ﴾ يعتقدون اعتقاداً جازماً لا يخالطه شكٌّ ﴿ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ الفائزون بكل محبوبٍ ومطلوب، والفلاحُ: الظفر بكل ما يشتهيه الإنسان من أنواع الكرامة والسعادة.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله: إنما ذُكرت هذه الحروف المقطَّعة في أوائل السور، بياناً لإعجاز القرآن الكريم، وأنَّ الخلقَ عاجزونَ عن معارضته بمثله، مع أنه مركَّبٌ من هذه الحروف المقطَّعة التي يتخاطبون بها، وهو قولُ جمعٍ من المحقِّقين، ولهذا كلُّ سورةٍ افتُتحتْ بالحروف، فلا بدَّ أن يُذكر فيها الانتصارُ للقرآن، وبيانُ إعجازه وعظمته، مثلُ ﴿صٓ وَٱلْقُرْءَانِ ذِى ٱلذِّكْرِ﴾ ﴿قٓ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْمَجِيدِ﴾ ﴿الٓرۚ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ﴾ ﴿حمٓ ۝١ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ﴾.

الجزء الأول — سورة البقرة

إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ
لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ ۖ وَعَلَىٰٓ
أَبْصَٰرِهِمْ غِشَٰوَةٌ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٧﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ
مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾
يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ
وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا ۖ
وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ ﴿١٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ
لَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ قَالُوٓا۟ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾
أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴿١٢﴾ وَإِذَا قِيلَ
لَهُمْ ءَامِنُوا۟ كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ قَالُوٓا۟ أَنُؤْمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُ ۗ
أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾ وَإِذَا لَقُوا۟
ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا۟ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ قَالُوٓا۟ إِنَّا
مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴿١٤﴾ ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ
فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلضَّلَٰلَةَ
بِٱلْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمْ وَمَا كَانُوا۟ مُهْتَدِينَ ﴿١٦﴾

﴿كَفَرُوا﴾ جحدوا وحدانية الله ﴿سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ﴾ يتساوى عندهم ﴿ءَأَنذَرْتَهُمْ﴾ الإنذارُ: التخويف من عذاب الله ﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾ لا يصدِّقون بما جئتهم به من عند الله ﴿خَتَمَ﴾ طبع الله على قلوبهم، فلا يدخل إليها نور ﴿غِشَٰوَةٌ﴾ غطاء، وهذا على التمثيل حيث لم يستفيدوا من حواسهم، فكأنهم فقدوها ﴿يُخَٰدِعُونَ﴾ يعاملون معاملة المخادع، والخِداعُ: المكرُ والاحتيال ﴿مَّرَضٌ﴾ شكٌّ ونفاق وهو مرض قلبيٌّ روحيٌّ لا جسدي ﴿ٱلسُّفَهَآءُ﴾ الحمقى ناقصو العقل والتفكير ﴿خَلَوْا﴾ انفردوا ﴿شَيَٰطِينِهِمْ﴾ رؤسائهم في النفاق والضلال ﴿يَسْتَهْزِئُ﴾ يسخر منهم كما سخروا من المؤمنين ﴿طُغْيَٰنِهِمْ﴾ فجورهم وكفرهم ﴿يَعْمَهُونَ﴾ يتخبَّطون حيارى، وصف تعالى المنافقين بعشر صفات هي (الكذبُ، والخداعُ، والمكرُ، والسَّفهُ، والاستهزاءُ، والإفسادُ في الأرض، والجهلُ، والضلالُ، والتَّذبذبُ، والسخريةُ من المؤمنين) وكلُّها صفات قبيحة، رسختْ في قلوب المنافقين.

قسم تعالى البشر في هذه السورة الكريمة، إلى ثلاثة أقسام: (مؤمنين، وكفارٍ، ومنافقين) فتحدَّث عن المؤمنين في خمس آيات، وعن الكفار في آيتين، وعن المنافقين في ثلاث عشرة آية، لينبِّه تعالى إلى عظيم خطرهم، وكبير ضررهم، ثم عقَّب ذلك بضرب مثلين لهم زيادة في الكشف والبيان، ولهذا كان عذاب المنافق، أشدَّ من عذاب الكافر ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ . . ﴾.

الجزء الأول — سورة البقرة

مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ
ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ ﴿١٧﴾ صُمٌّۢ
بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿١٨﴾ أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فِيهِ
ظُلُمَٰتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ
حَذَرَ ٱلْمَوْتِ وَٱللَّهُ مُحِيطٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٩﴾ يَكَادُ ٱلْبَرْقُ يَخْطَفُ
أَبْصَٰرَهُمْ كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم مَّشَوْا۟ فِيهِ وَإِذَآ أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا۟
وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَٰرِهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ
شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ
وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ
ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ
بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ
تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾ وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا
فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ
إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ وَلَن تَفْعَلُوا۟ فَٱتَّقُوا۟
ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ ۖ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٤﴾

﴿ٱسْتَوْقَدَ نَارًا﴾ أشعل ناراً ﴿صُمٌّ﴾ هذا على التشبيه أي هم كالصمّ لا يسمعون خيراً ﴿بُكْمٌ﴾ كالخرس لا يتكلمون بما ينفع ﴿عُمْىٌ﴾ كالعُمْي لا يبصرون الهدى، لهم حواسّ لكنهم لا ينتفعون بها، مثّل تعالى لهم أولاً بإنسان في صحراء أشعل النار لنضيء له الطريق، فهبّت ريح عاصفة فأطفأت النار، وبقي في ظلماتٍ حالكة ﴿كَصَيِّبٍ﴾ مطر غزير مصحوب بالرعد والبرق والصواعق ﴿حَذَرَ ٱلْمَوْتِ﴾ خشية الموت من الصواعق المدمّرة ﴿يَخْطَفُ أَبْصَٰرَهُمْ﴾ يذهب بأبصارهم من شدة لَمعانه ﴿قَامُوا۟﴾ وقفوا عن السير، ومثّل لهم ثانياً بقوم مسافرين أصابهم مطر شديد، يصحبه رعدٌ قاصف، وبرق خاطف، فوضعوا رؤوس أصابعهم في آذانهم ليدفعوا عنهم خطر الصواعق، وهو مَثَلٌ لحيرتهم وضلالهم ﴿فِرَٰشًا﴾ جعل الأرضَ ممهَّدة كالبساط للبناء والزراعة ﴿أَندَادًا﴾ شركاء من الأوثان تعبدونهم من دون الرحمن ﴿عَبْدِنَا﴾ محمد ﷺ ﴿شُهَدَآءَكُم﴾ أنصاركم وأعوانكم ﴿أُعِدَّتْ﴾ هُيِّئت.

أقام تعالى في هذه الآيات، الأدلة والبراهين على قدرته ووحدانيته، فهو سبحانه الذي أنزل المطر من السحاب، فأخرج لهم به أنواع الزروع والثمار، فهو الخالقُ الرازق، الذي يستحقُّ أن يُعبد وحده، لا تلك الأصنام والأوثان التي لا تجلب لهم نفعاً، ولا تدفع عنهم ضُرًّا، كما أقام البرهانَ على إعجاز القرآن، بهذا التحدّي الصارخ للإنس والجنّ ﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ وَلَن تَفْعَلُوا۟ . .﴾!!

﴿وَبَشِّرِ﴾ البشارةُ: الخبرُ السارُّ المفرح ﴿جَنَّٰتٍ﴾ حدائق وبساتين ﴿رُزِقُوا۟ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا﴾ أعطوا عطاءً من ثمر الجنة وفواكهها ﴿مُتَشَٰبِهًا﴾ متشابهاً في الصورة والمنظر، لا في الطعم والمخبر، إذا قُدِّم لهم قالوا: هذا الذي أُتينا به من قبل، فتقول لهم الملائكة: كُلْ يا عبدَ الله فاللونُ واحد، والطَّعم مختلف ﴿أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ﴾ زوجات من الحور العين، مطهَّرات من الحيض، والنفاس، والبول والغائط وسائر القذارات، الحسيَّة والمعنوية ﴿خَٰلِدُونَ﴾ ماكثون في الجنة على الدوام ﴿لَا يَسْتَحْىِۦٓ﴾ عبَّر بالحياء عن الترك أي لا يترك ضرب المثل بالبعوضة لحقارتها ﴿ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾ قَصَدَ إلى خلقها بإرادته ﴿فَسَوَّىٰهُنَّ﴾ صيَّرهن سبع سموات، خلقهنَّ وأتقنهنَّ في أبدع خلقٍ وتقدير، بلا دعائم ولا أعمدة، واقفة بقدرة الله تعالى.

لمَّا ذكر تعالى في كتابه العزيز الذبابَ والعنكبوت، وضرب المثل بهما، استهزأ اليهود والمشركون، وقالوا: هذا ليس من كلام الله، وماذا أراد الله من ضرب الأمثالِ بمثل هذه الأشياء الحقيرة؟ فأنزل الله الآية ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْىِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا . . .﴾ ردًّا عليهم، وبياناً للحكمة من ضرب الأمثالِ بالصغير والكبير، والعظيم والحقير، لأن المثل لا يُراد به، إلَّا توضيح الغامض، وتقريب البعيد إلى الذهن ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ﴾.

وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً
قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ
نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ
٣٠ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ
فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ٣١ قَالُوا۟
سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ
٣٢ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ ۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ
أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّيٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا
تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ٣٣ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟
لِـَٔادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ ۖ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ
٣٤ وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا
حَيْثُ شِئْتُمَا ۖ وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٣٥
فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ۖ وَقُلْنَا ٱهْبِطُوا۟
بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ٣٦
فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ٣٧

﴿خَلِيفَةً﴾ قوماً يخلف بعضُهم بعضاً، جيلاً بعد جيل ﴿يُفْسِدُ فِيهَا﴾ بالمعاصي والآثام ﴿وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ﴾ يُريقها بالبغي والاعتداء ﴿نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ﴾ نُنزِّهك عما لا يليق بك من صفات النقص ﴿وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾ نُمجِّدك ونُثني عليك ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا﴾ علَّمه أسماء جميع الأشياء مما سيخلقه إلى يوم القيامة، حتى الطائرة والقصعة والمغرفة ﴿أَنۢبِـُٔونِى﴾ أخبروني بأسماء هذه المخلوقات ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ أنكم أحقُّ بالخلافة من آدم ﴿تَكْتُمُونَ﴾ تُخفون وتُسرُّون ﴿ٱسْجُدُوا۟ لِـَٔادَمَ﴾ سجود تحية وتعظيم ﴿إِبْلِيسَ﴾ اسمٌ للشيطان الأكبر ﴿رَغَدًا﴾ أكلاً هنيئاً واسعاً ﴿فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ أوقعهما في الزلَّة وهي الخطيئة والمخالفة ﴿مُسْتَقَرٌّ﴾ موضع سكنى وقرار ﴿وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾ تمتُّعٌ بنعيم الدنيا، إلى وقت انتهاء آجالكم ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ﴾ ألهمه الله دعواتٍ دعا بها فتاب عليه ربه.

وينبغي أن نعلم أن سجود الملائكة لآدم، لم يكن سجود عبادة، إنما هو سجود تحية وتكريم، و«إبليس» لم يكن من الملائكة، وإنما كان من الجن لقوله سبحانه في سورة الكهف ﴿فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ﴾ وقد توجَّه له أمر خاص بالسجود لآدم ﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ﴾؟ والاستثناء في الآية منقطع، لأنه استثناء من غير الجنس، وقد قال الحسن البصري: لم يكن إبليسُ من الملائكة طرفةَ عين، لأن الملائكة ﴿لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾.

قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ
هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا
وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٣٩﴾
يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي
أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ ﴿٤٠﴾ وَآمِنُوا بِمَا أَنْزَلْتُ
مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ ۖ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي
ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ ﴿٤١﴾ وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ
وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤٢﴾ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا
الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ ﴿٤٣﴾ ۞ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ
وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٤٤﴾
وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ ۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ
﴿٤٥﴾ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَاقُو رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿٤٦﴾
يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ
عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٤٧﴾ وَاتَّقُوا يَوْمًا لَّا تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئًا وَلَا
يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤٨﴾

﴿اهْبِطُوا مِنْهَا﴾ اهبطوا من جنة الخُلد إلى الأرض ﴿مِنِّي هُدًى﴾ أي إن جاءكم رسولٌ يهديكم إلى الحقّ ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ لا ينالهم خوفٌ في الآخرة، ولا يحزنون على ما تركوه في الدنيا ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ إسرائيل اسم يعقوب عليه السلام ﴿اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ﴾ تذكَّروا نعمي على آبائكم ﴿وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ﴾ خافوني ولا تخافوا غيري ﴿وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ﴾ لا تخلطوا الحقّ المنزل من عند الله، بالباطل الذي تفترونه ﴿وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ﴾ لا تُخفوا ما في كتابكم «التوراة» من أوصاف محمد عليه السلام ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ﴾ أتدعون الناس إلى فعل الخير والطاعة؟ ﴿وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ﴾ تتركونها فلا تفعلون الخير؟ ﴿وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ﴾ شاقة وثقيلة ﴿الْخَاشِعِينَ﴾ المتواضعين لعظمة الله ﴿فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ فضَّلتُ آباءكم على عالمي زمانهم ﴿وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ﴾ لا يُقبل منها فداء.

تكرَّر النداء لبني إسرائيل في القرآن، و«إسرائيل» اسم لنبيِّ الله الكريم «يعقوب» والد يوسف الصدِّيق، اسمه «يعقوب» وكنيته «إسرائيل» كما قال تعالى ﴿إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَىٰ نَفْسِهِ.﴾ ومعظمُ الأنبياء من نسله، إلَّا نبينا محمداً ﷺ فمن ذرية «إسماعيل» عليه السلام، واليهود ينتسبون إلى (إسرائيل) ويزعمون أنهم شعب الله المختار، وهم الأشرار الفجار، ولذلك كثر الحديث عنهم في القرآن الكريم، وقد قارب الكلام عنهم معظم سورة البقرة، لينبِّهنا اللهُ تعالى إلى عظيم خطرهم، وكبير ضررهم، نسأله تعالى أن يطهِّر الأرضَ من رجسهم.!

الجزء الأول — سورة البقرة

وَإِذْ نَجَّيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ
يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ
مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿٤٩﴾ وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ ٱلْبَحْرَ فَأَنجَيْنَٰكُمْ
وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٠﴾ وَإِذْ وَٰعَدْنَا مُوسَىٰٓ
أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ
﴿٥١﴾ ثُمَّ عَفَوْنَا عَنكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٢﴾
وَإِذْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿٥٣﴾
وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم
بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلْعِجْلَ فَتُوبُوٓا۟ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَٱقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ
خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ
﴿٥٤﴾ وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً
فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٥﴾ ثُمَّ بَعَثْنَٰكُم مِّنۢ
بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٦﴾ وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ
ٱلْغَمَٰمَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ ۖ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا
رَزَقْنَٰكُمْ ۖ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٥٧﴾

﴿يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ﴾ يذيقونكم أشدّ أنواع العذاب وأفظعه ﴿يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ﴾ يذبحون الذكور من الذرية ﴿وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ﴾ يستبقون الإناث للخدمة ﴿بَلَآءٌ﴾ امتحان واختبار شديد، ليتميَّز البَرُّ من الفاجر ﴿فَرَقْنَا بِكُمُ ٱلْبَحْرَ﴾ فلقنا لكم البحر حتى صار طريقاً يابساً لتسلكوه ﴿وَعَدْنَا مُوسَىٰٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾ وعدناه بإنزال التوراة بعد أربعين ليلة ﴿ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ﴾ عبدتم العجل من بعد غيبة موسى عنكم ﴿عَفَوْنَا عَنكُم﴾ تجاوزنا عن تلك الجريمة الشنيعة رحمةً منا بكم ﴿حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً﴾، جريمةٌ أخرى وهي طلبهم رؤية الله عياناً ﴿فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ﴾ أخذتكم صيحة العذاب حتى مُتم ﴿بَعَثْنَٰكُم مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ﴾ أحييناكم بعد أن أصبحتم أمواتاً، لتشكروا نعمتنا عليكم ﴿ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ﴾ المنُّ: طعام حلو يشبه العسل، والسلوى: لحم الطير السُّمَّاني، وسببُ تقتيل الذكور من بني إسرائيل، أن فرعون الجبار، رأى في منامه أن ناراً خرجت من بيت المقدس، فأحرقت كلَّ الأقباط من أتباع فرعون، ولم تحرق أحداً من بني إسرائيل، فهالَهُ ذلك الأمرُ، وسألَ الكهنةَ عن رؤياه، فأوّلوها له بأنه سيولد في بني إسرائيل غلام، يكون زوالُ ملكه، وهلاكُه على يديه، فأمر بذبح كل غلام يولد لهم من بني إسرائيل، فذلك قوله تعالى: ﴿يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ﴾ أي يذيقونكم أفظع أنواع العذاب وأشنعه، بذبح الذكور، وإبقاء الإناث للخدمة والامتهان.

وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَٰذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا
وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ نَغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ
وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا
غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِنَ
السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿٥٩﴾ ۞ وَإِذِ اسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ
لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِب بِّعَصَاكَ الْحَجَرَ ۖ فَانفَجَرَتْ مِنْهُ
اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ ۖ كُلُوا
وَاشْرَبُوا مِن رِّزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٦٠﴾
وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ
يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنبِتُ الْأَرْضُ مِن بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا
وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا ۖ قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ
بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ ۚ اهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ ۗ
وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُو بِغَضَبٍ مِّنَ
اللَّهِ ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ
النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ۗ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٦١﴾

﴿ادْخُلُوا هَٰذِهِ الْقَرْيَةَ﴾ بيت المقدس وذلك بعد خروجهم من التِّيه ﴿وَقُولُوا حِطَّةٌ﴾ أي حُطَّ عنا ذنوبنا وخطايانا ﴿غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ﴾ غيَّر اليهودُ الظالمون قول الله، وقالوا سخريةً واستهزاءً: حبَّةٌ في شَعَرة، ودخلوا يزحفون على مقاعدهم ﴿رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ﴾ عذاباً من السماء وهو الطاعون ﴿بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ بسبب عصيانهم وخروجهم عن طاعة الله، رُوي أنه مات منهم في ساعة واحدة سبعون ألفاً ﴿اسْتَسْقَىٰ﴾ طلب السُّقيا لقومه ﴿فَانفَجَرَتْ﴾ انشقَّتْ وسالت ﴿اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا﴾ بعدد الأسباط ﴿وَلَا تَعْثَوْا﴾ لا تطغوا بالأرض بأنواع الفساد ﴿وَفُومِهَا﴾ ثومها ﴿أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ﴾ أتستبدلون الخسيسَ بالنفيس؟ ﴿اهْبِطُوا مِصْرًا﴾ ادخلوا أيَّ بلدٍ من البلاد تجدون ما تحبونه ﴿الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ﴾ لزمهم الذلُّ والهَوَان ﴿وَبَاءُو بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ﴾ رجعوا بسخط الله وغضبه الشديد.

ذكَّرهم تعالى بنعمته عليهم، وهم في أرض التِّيه، وذلك حين امتنعوا من دخول مدينة الجبَّارين وقتالهم، وقالوا لموسى ﴿فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَٰهُنَا قَاعِدُونَ﴾ فعوقبوا على ذلك بالضياع أربعين سنةً، يتيهون في الأرض، ومع ذلك فقد أرسل اللهُ تعالى عليهم السحاب يظلِّلهم، وأنزل عليهم المنَّ والسلوى نعمةً منه عليهم، فجحدوا النِّعم، وقتلوا الأنبياء والمرسلين، فاستحقوا اللعنة والغضب ﴿ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ بسبب عصيانهم وطغيانهم، ومجاوزتهم حدودَ الله تعالى، وبما اقترفوه من الجرائم الشنيعة.

إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ
مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ
عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ وَإِذْ
أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم
بِقُوَّةٍ وَٱذْكُرُوا۟ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ ثُمَّ تَوَلَّيْتُم مِّنۢ
بَعْدِ ذَٰلِكَ ۖ فَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَكُنتُم مِّنَ
ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٤﴾ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعْتَدَوْا۟ مِنكُمْ فِى ٱلسَّبْتِ
فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ﴿٦٥﴾ فَجَعَلْنَٰهَا نَكَٰلًا لِّمَا
بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٦٦﴾ وَإِذْ قَالَ
مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا۟ بَقَرَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَتَّخِذُنَا
هُزُوًا ۖ قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٦٧﴾ قَالُوا۟
ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ ۚ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا فَارِضٌ
وَلَا بِكْرٌ ۖ عَوَانٌۢ بَيْنَ ذَٰلِكَ ۖ فَٱفْعَلُوا۟ مَا تُؤْمَرُونَ ﴿٦٨﴾
قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَا ۚ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ
إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَآءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا تَسُرُّ ٱلنَّٰظِرِينَ ﴿٦٩﴾

﴿هَادُوا﴾ اليهود أتباع موسى ﴿وَالصَّابِئِينَ﴾ قومٌ يعبدون الكواكب ﴿أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ﴾ عهدكم الموثّق على العمل بما في التوراة ﴿وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ﴾ اقتلعنا جبل الطور، ورفعناه فوق رؤوسكم ﴿خُذُوا مَا آتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ﴾ اعملوا بما في التوراة بجدّ وعزيمة ﴿وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ﴾ بالعمل والتطبيق ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ لتنجوا من عذاب الله ﴿اعْتَدَوْا مِنكُمْ فِي السَّبْتِ﴾ اصطادوا يوم السبت ﴿قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾ مسخناهم قردة بعد أن كانوا بشراً ﴿فَجَعَلْنَاهَا نَكَالًا﴾ جعلنا مسخهم قردة عقوبةً لهم ﴿لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا﴾ لمن يأتي بعدهم من الأمم، ولمن شهدها وعاينها منهم ﴿أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا﴾ أتسخر منا وتهزأ يا موسى؟ ﴿مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ المستهزئين بعباد الله ﴿لَّا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ﴾ ليست كبيرة هرمة ولا صغيرة فتيّة ﴿عَوَانٌ بَيْنَ ذَٰلِكَ﴾ وَسَطٌ بين الكبيرة والصغيرة ﴿صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا﴾ شديدة الصُفْرة ﴿تَسُرُّ النَّاظِرِينَ﴾ تعجب الناظرين بحسنها. . دعا تعالى أصحاب الديانات والمِلَل (المسلمين، واليهود، والنصارى) إلى الإيمان الصادق، وبيّن أن أصحاب هذه الديانات، من آمن منهم بنبيّه وكتابه في زمانه، فلا يضيع أجره عند الله، أمّا بعد بعثة خاتم النبيّين محمد ﷺ، فلا يُقبل غيرُ دين الإسلام، قال تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ والإيمان بجميع الرسل شرطٌ لدخول الجنة، فمن كذّب واحداً منهم، فقد كذّب الله تعالى، ومن كذّب الله تعالى استحقّ الخلودَ في نار الجحيم.

قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا
إِن شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا ذَلُولٌ
تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَّا شِيَةَ فِيهَا قَالُوا
الْآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ ﴿٧١﴾ وَإِذْ
قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٧٢﴾
فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَٰلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ
آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٧٣﴾ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّن بَعْدِ ذَٰلِكَ
فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ
مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ
مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ
﴿٧٤﴾ ۞ أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ
يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ
وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا
وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ
اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُم بِهِ عِندَ رَبِّكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٧٦﴾

﴿إِنَّ الْبَقَرَ تَشَٰبَهَ عَلَيْنَا﴾ التبس أمرُ البقر علينا، فلم ندر أي بقرة أُمرنا بذبحها؟ ﴿إِن شَآءَ ٱللَّهُ لَمُهْتَدُونَ﴾ وسنهتدي إلى معرفتها إن شاء الله ﴿لَا ذَلُولٌ تُثِيرُ ٱلْأَرْضَ﴾ ليست مسخَّرة لحراثة الأرض ﴿وَلَا تَسْقِى ٱلْحَرْثَ﴾ وليست مسخَّرة لسقاية الزرع والشجر ﴿مُّسَلَّمَةٌ لَّا شِيَةَ فِيهَا﴾ سليمة من جميع العيوب، ليس فيها لونٌ يخالف صفرتها ﴿فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ﴾ لغلاء ثمنها ﴿فَادَّٰرَٰٔتُمْ فِيهَا﴾ تدافعتم وتخاصمتم بشأنها ﴿فَقُلْنَا ٱضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا﴾ اضربوا القتيلَ بشيءٍ من البقرة، يحيا القتيلُ بإذن الله ويخبركم عن القاتل ﴿قَسَتْ قُلُوبُكُم﴾ صلُبت قلوبكم، فلم ينفع فيها وعظٌ ولا تذكير ﴿فَهِىَ كَٱلْحِجَارَةِ﴾ في القسوة ﴿يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ ٱلْمَآءُ﴾ يتصدع فينبع منه الماء، فالحجارة تلين وقلوبكم لا تلين ﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا لَكُمْ﴾ أترجون أن يؤمن اليهود ويدخلوا في دينكم؟ ﴿مِّنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ﴾ غيّروا كلام الله من بعد ما عرفوه وضبطوه.

ذكر سبحانه قصة البقرة، إحياءً لذكرى تلك (المعجزة الباهرة) التي ظهرت في زمن موسى عليه السلام، حيث قُتل شخصٌ من بني إسرائيل، ولم يعرفوا قاتله، فسألوا موسى عنه، فأوحى الله تعالى إليه، أن يأمرهم بذبح بقرة، وأن يضربوا الميت بجزءٍ منها، فيحيا بإذن الله، ويخبرهم عن القاتل، لتكون برهاناً على قدرة الله في إحياء الخلق بعد الموت، وحجةً ساطعةً قاطعة على البعث والنشور.

الجزء الأول — سورة البقرة

أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٧﴾
وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ
إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٧٨﴾ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ
ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا
فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ
﴿٧٩﴾ وَقَالُوا لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَةً قُلْ
أَتَّخَذْتُمْ عِندَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَن يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ
عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٠﴾ بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً
وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ
فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٨١﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ
أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٨٢﴾ وَإِذْ
أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ
إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا
لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ
تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنكُمْ وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ ﴿٨٣﴾

﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ﴾ ومن اليهود طائفة من العوامّ الجهلة ﴿إِلَّا أَمَانِيَّ﴾ لا يعرفون ما في التوراة من التحريف والتبديل، إلّا ما أوحاه إليهم رؤساء الدين، من الأكاذيب والأباطيل ﴿وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ وما هم على يقين من اعتقادهم، إنما يظنون الظنون والأوهام ﴿يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ﴾ هلاكٌ وعذاب للذين حرّفوا كلام الله وكتبوه بأيديهم ﴿هَٰذَا مِنْ عِندِ اللَّهِ﴾ نسبوها إلى الله كذباً وزوراً ﴿أَيَّامًا مَّعْدُودَةً﴾ أياماً قلائل مدة عبادتهم للعجل ﴿أَتَّخَذْتُمْ عِندَ اللَّهِ عَهْدًا﴾ هل أعطاكم الله العهد أن لا يعذّبكم على جرائمكم؟ ﴿أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ بل تكذبون على الله وتفترون ﴿كَسَبَ سَيِّئَةً﴾ فعل جريمةً كالشرك وعبادة الأصنام ﴿وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ﴾ استولت عليه ذنوبه وآثامه، فأحاطت به كما يحيط العدوُّ بعدوه ﴿أَصْحَابُ النَّارِ﴾ هم أهل جهنم وسُكّانها ﴿مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ العهد المؤكد غاية التأكيد ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ قولاً حسناً بلين الجانب وطيِّب الكلام ﴿ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ﴾ رفضتم الميثاق، وعادتُكم العناد، والإعراض عن الحق، رُوي أن أحبار اليهود، خافوا زوال رياستهم، فعمدوا إلى صفة النبي ﷺ في التوراة، وكانت فيها أنه (حسنُ الوجهِ، حسنُ الشعر، أكحلُ العينين، رَبْعُ القامة) فغيّروها وكتبوا مكانها أنه طويل، أزرق، سَبْط الشعر، فإذا سألهم أحد عنه، قرءوا لهم ما كتبوه وحرّفوه، فيجدونه مخالفاً لما في التوراة فيكذبونه، وذلك من التحريف لكتاب الله تعالى في الكتاب المقدّس (التوراة) وهذا من أفانين تلاعبهم في تحريف الكلام.

وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَآءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ
أَنفُسَكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿٨٤﴾
ثُمَّ أَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا
مِّنكُم مِّن دِيَٰرِهِمْ تَظَٰهَرُونَ عَلَيْهِم بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ
وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَٰرَىٰ تُفَٰدُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ
إِخْرَاجُهُمْ ۚ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ
بِبَعْضٍ ۚ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْىٌ
فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ ۗ
وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٨٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟
ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا بِٱلْءَاخِرَةِ ۖ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ
يُنصَرُونَ ﴿٨٦﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَقَفَّيْنَا مِنۢ
بَعْدِهِۦ بِٱلرُّسُلِ ۖ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ
بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ۗ أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ
ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴿٨٧﴾ وَقَالُوا۟
قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ ۚ بَل لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾

﴿لَا تَسْفِكُونَ دِمَآءَكُمْ﴾ اذكروا يا معشر اليهود حين أخذنا منكم العهد المؤكد أن لا يقتل بعضكم بعضاً ﴿وَلَا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ﴾ ولا يُخرج بعضكم بعضاً من داره ﴿ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ﴾ اعترفتم بذلك الميثاق وأنتم تشهدون بلزومه ﴿ثُمَّ أَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ﴾ قتلتم إخوانكم في الدين ﴿وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنكُم مِّن دِيَٰرِهِمْ﴾ كما طردتموهم من ديارهم، من غير تمسُّك بالعهد ﴿تَظَٰهَرُونَ عَلَيْهِم بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ﴾ تتعاونون عليهم بالظلم والبغي ﴿وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَٰرَىٰ تُفَٰدُوهُمْ﴾ إذا وقعوا في الأسر فديتموهم، كانت قُريظة حالفوا (الأوس) وبنو النضير حالفوا (الخزرج) وكان كل فريق يقاتل مع حلفائه، فإذا أُسِرُوا فَدَوْهم ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ﴾ أتصدّقون ببعض أحكام التوراة وتكفرون ببعض؟ ﴿خِزْىٌ﴾ ذلٌّ وهوان ﴿وَقَفَّيْنَا﴾ أتبعنا على أثره بالرسل ﴿ٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ المعجزات ﴿غُلْفٌ﴾ أغلفة لا تفقه الكلام، قالوه على سبيل السخرية والعناد.

في هذه الآيات تحذيرٌ من الله للمؤمنين، أن يأخذوا ببعض أحكام القرآن، ويتركوا بعضه، كما فعل اليهود، فيضلُّوا كما ضلَّ أهلُ الكتاب، ولهذا جاء التوبيخ الصارخ ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ﴾؟ فالإيمان ببعض آيات الله، دون الكلّ، كفرٌ بالكتاب كلّه، ولهذا جاء الإنكار والتوبيخ.

وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا۟
مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ ۚ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾
بِئْسَمَا ٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ أَن يَكْفُرُوا۟ بِمَآ أَنزَلَ
ٱللَّهُ بَغْيًا أَن يُنَزِّلَ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ
فَبَآءُو بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ ۚ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ
﴿٩٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا۟ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ نُؤْمِنُ بِمَآ
أُنزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُۥ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا
لِّمَا مَعَهُمْ ۗ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنۢبِيَآءَ ٱللَّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنتُم
مُّؤْمِنِينَ ﴿٩١﴾ ۞ وَلَقَدْ جَآءَكُم مُّوسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ
ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿٩٢﴾
وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُوا۟
مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱسْمَعُوا۟ ۖ قَالُوا۟ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا
وَأُشْرِبُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ ۚ قُلْ
بِئْسَمَا يَأْمُرُكُم بِهِۦٓ إِيمَٰنُكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٩٣﴾

﴿يَسْتَفْتِحُونَ﴾ يستنصرون ببعثة خاتم الأنبياء فيقولون: اللهم انصرنا على أعدائنا بالنبي المبعوث آخر الزمان ﴿كَفَرُوا بِهِۦ﴾ فلما بُعث محمد ﷺ كفروا برسالته ﴿اشْتَرَوْا بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ﴾ بئس الشيء التافه الذي باع به اليهود أنفسهم ودينهم ﴿بَغْيًا﴾ حسداً وعدواناً وطلباً للرئاسة ﴿فَبَآءُو بِغَضَبٍ﴾ رجعوا بغضب من الله زيادة على سابق غضبه عليهم ﴿عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ شديد مع الإذلال والإهانة ﴿ءَامِنُوا بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ آمنوا بالقرآن المنزل على خاتم النبيين ﴿نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا﴾ نؤمن بالتوراة فقط المنزلة علينا ﴿وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُۥ﴾ يكفرون بالقرآن مع أنه الحقُّ الساطع ﴿بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ بالحجج الساطعات والمعجزات الباهرات ﴿ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ﴾ عبدتم العجل فجعلتموه لكم إلهاً ﴿سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا﴾ سمعنا قولك وعصينا أمرك ﴿وَأُشْرِبُوا فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ﴾ خالط حبُّ عبادة العجل قلوبهم حتى سكن فيها، شبَّهه بمشروب لذيذ سائغ الشراب، شربوه فامتزج بدمائهم وأبدانهم، وهو من بديع الاستعارة ﴿بِئْسَمَا يَأْمُرُكُم بِهِۦٓ إِيمَٰنُكُمْ﴾ هذا أسلوب التهكُّم والسخرية، أي بئس هذا الإيمان الذي يأمركم بعبادة العجل، فهل صار الإيمان طريقاً للإشراك بالله، وطريقاً لعبادة العجل؟ وهذا نهاية السخرية بهم وبإيمانهم، كما تقول لرجلٍ عالم، يستحلُّ ما حرَّم الله: بئسَ هذا العلمُ الذي تعلَّمته!! لا تريد ذمَّ العلم، وإنما تريد السخرية به، لأنه لم ينتفع بعلمه.

قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ عِندَ ٱللَّهِ خَالِصَةً مِّن
دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُا۟ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٩٤﴾
وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ
﴿٩٥﴾ وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٍ ۛ وَمِنَ ٱلَّذِينَ
أَشْرَكُوا۟ ۚ يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ ۖ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِۦ
مِنَ ٱلْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ قُلْ
مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ
مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ
﴿٩٧﴾ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ
وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٩٨﴾ وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ
إِلَيْكَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ ۖ وَمَا يَكْفُرُ بِهَآ إِلَّا ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٩٩﴾
أَوَكُلَّمَا عَٰهَدُوا۟ عَهْدًا نَّبَذَهُۥ فَرِيقٌ مِّنْهُم ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ
لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠٠﴾ وَلَمَّا جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ
مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ
كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾

﴿الدَّارُ الْآخِرَةُ﴾ الجنة ﴿خَالِصَةً مِنْ دُونِ النَّاسِ﴾ خاصة بكم لا يشارككم فيها أحد ﴿فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ﴾ اشتاقوا الموت الذي يوصلكم إلى الجنة، فمن أيقن أنه من أهل الجنة اشتاق إليها ﴿وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا﴾ لن يتمنوا الموت مدى الحياة لأنهم كذبةٌ فجرة، وفي الحديث «لو ان اليهودَ تمنَّوا الموت لماتُوا ورأَوْا مقاعدهم من النار» ﴿وَلَن﴾ تفيد التأبيد للمستقبل ﴿أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٍ﴾ أشدّ الناس حرصاً على الحياة ﴿وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ واحرص من المشركين أنفسهم ﴿لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ يتمنى الواحد من اليهود أن يعيش ألف سنة ﴿وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِ مِنَ الْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ﴾ ليس طولُ العمر بمنجيه ومبعده من عذاب الله ﴿بَصِيرٌ﴾ مطّلع على أعمال العباد ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ﴾ نزلت في اليهود قالوا لرسول الله ﷺ: من ينزل عليك بالوحي يا محمد؟ قال: جبريل!! قالوا: ذاك عدونا ينزل بالحرب والقتال، ولو قلت: «ميكائيل» الذي ينزل بالرزق، والرحمة، والمطر، لآمنّا بك!! فنزلت الآية ﴿نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ﴾ خصّ القلب بالذكر، لأنه موضع الفقه، وتلقّي المعارف، ولهذا جاء في موطن آخر ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا﴾ وعمى القلب أخطرُ من عمى البصر ﴿ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ﴾ ساطعات واضحات الدلالة على صدق نبوتك ﴿الْفَاسِقُونَ﴾ الخارجون عن طاعة الله ﴿نَبَذَهُۥ فَرِيقٌ مِّنْهُم﴾ طرحه جماعة منهم، فلم يستمسكوا بالعهد، لأن اليهود ليس لهم عهود ﴿وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ﴾ هذا مَثَلٌ يُضرب لمن يستخفّ بالشيء فلا يعمل به، كأنهم جعلوا التوراةَ نسياً منسيًّا، كمن يلقي بالشيء وراء ظهره.

وَٱتَّبَعُوا۟ مَا تَتْلُوا۟ ٱلشَّيَـٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَـٰنَ ۖ وَمَا كَفَرَ
سُلَيْمَـٰنُ وَلَـٰكِنَّ ٱلشَّيَـٰطِينَ كَفَرُوا۟ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ
ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَـٰرُوتَ وَمَـٰرُوتَ ۚ
وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ۖ
فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ ۚ
وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَيَتَعَلَّمُونَ
مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ ۚ وَلَقَدْ عَلِمُوا۟ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ
مَا لَهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنْ خَلَـٰقٍ ۚ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا۟ بِهِۦٓ
أَنفُسَهُمْ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟
وَٱتَّقَوْا۟ لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ خَيْرٌ ۚ لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ
﴿١٠٣﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقُولُوا۟ رَٰعِنَا وَقُولُوا۟
ٱنظُرْنَا وَٱسْمَعُوا۟ ۗ وَلِلْكَـٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٠٤﴾
مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ وَلَا ٱلْمُشْرِكِينَ
أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۚ وَٱللَّهُ يَخْتَصُّ
بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿١٠٥﴾

﴿تَتْلُوا﴾ تُحدِّث وتروي ﴿عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَـٰنَ﴾ في عهد مُلك سليمان، اتَّبع اليهودُ طُرُق السحر والشعوذة، وتركوا كتاب الله المنير ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَـٰنُ﴾ ما كان سليمان ساحراً، ولا كفر بتعلمه السحر، نزلت في اليهود قالوا: لم يكن سليمانُ نبياً إنما كان ساحراً ﴿وَلَـٰكِنَّ ٱلشَّيَـٰطِينَ كَفَرُوا۟﴾ الشياطينُ الكفرة علَّموا الناسَ السحرَ ﴿هَـٰرُوتَ وَمَـٰرُوتَ﴾ اسمٌ للملكَيْن أنزلهما الله إلى الأرض لتعليم الناس فلكُ السحر ﴿نَحْنُ فِتْنَةٌ﴾ امتحان وابتلاء من الله ﴿يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ﴾ يتعلَّمون من السحر ما يكون سبباً في التفريق بين الزوجين ﴿إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ ما يضرُّون بالسحر أحداً إلَّا بمشيئة الله وتقديره ﴿مِنْ خَلَـٰقٍ﴾ ليس له من رحمة الله نصيب في الآخرة ﴿لَمَثُوبَةٌ﴾ لثواب الله أفضل لهم ﴿لَا تَقُولُوا۟ رَٰعِنَا﴾ من المراعاة، وهي النظر في المصالح، وما فيه الخير للإنسان، وقد حرَّفها اليهود اللُّعناء فجعلوها من الرعونة وهي كلمة سبّ وشتم، لذلك نهى الله المسلمين عنها.. كان اليهود يستعملون في حديثهم مع الرسول ﷺ كلمة ﴿رَٰعِنَا﴾ يعنون بها المسبَّة والشتيمة، وروي أنَّ (سعد بن معاذ) سمعها منهم، فقال يا أعداء الله: عليكم لعنةُ الله،! والذي نفسي بيده لئن سمعتها من رجل منكم يقولها لرسول الله ﷺ لأضربنّ عنقه، فقالوا: إنكم تقولونها!! فنزلت الآية تنهى المسلمين عن قولها، سدًّا لخباثة اليهود.

مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ ۗ
أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٦﴾ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ
مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن
وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٠٧﴾ أَمْ تُرِيدُونَ أَن تَسْـَٔلُوا۟ رَسُولَكُمْ
كَمَا سُـُٔلَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ ۗ وَمَن يَتَبَدَّلِ ٱلْكُفْرَ بِٱلْإِيمَٰنِ
فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿١٠٨﴾ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ
ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا
مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَٱعْفُوا۟
وَٱصْفَحُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ
﴿١٠٩﴾ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم
مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ
﴿١١٠﴾ وَقَالُوا۟ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ۗ
تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ ۗ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ
صَٰدِقِينَ ﴿١١١﴾ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ
فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١١٢﴾

﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ﴾ النسخُ: إبطالُ الحكم وتبديله ﴿أَوْ نُنسِهَا﴾ نمحها من قلبك ونجعلك تنساها ﴿نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ﴾ نأت بما هو أنفع وأصلح للعباد، ردٌّ على اليهود حيث قالوا: عجباً لمحمد يأمر أصحابه بأمرٍ ثم ينهاهم عنه، ويأمرهم بخلافه!! ﴿كَمَا سُـُٔلَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ﴾ لا تكونوا يا معشر المؤمنين كاليهود المعاندين الذين طلبوا من نبيِّهم أن يريهم الله جهرة، فتضلُّوا كما ضلُّوا ﴿مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا﴾ تمنَّى أهل الكتاب لو يُرْجِعونكم إلى الكفر بعد إيمانكم ﴿حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم﴾ حسداً لكم على ما أكرمكم الله به من الدِّين الحق ﴿فَٱعْفُوا۟ وَٱصْفَحُوا۟﴾ اتركوهم وأعرضوا عنهم ﴿حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ﴾ حتى يأتيكم أمرُ الله بقتالهم ﴿هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ﴾ قال اليهود: لن يدخل الجنة إلا يهوديّ، وقال النصارى: لن يدخل الجنة إلا نصراني ﴿تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ﴾ شهواتهم الباطلة الفارغة ﴿هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ﴾ ائتونا بالحجة والبرهان على هذه المزاعم الكاذبة، إن كنتم صادقين أن الجنة خاصة بكم!! ﴿بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ﴾ أي ليس الأمر كما تزعمون، أن الجنة خاصة بكم، بلى يدخل الجنة، من استسلم لله، وخضع لحكمه، وهو مؤمن صادقُ الإيمان، فله جزاؤه الكامل يوم القيامة، ولا يعتريهم حزنٌ ولا كدر، لأنهم في نعيم مقيم، ومن شروط دخول الجنة: الإيمانُ، والإحسانُ، ولهذا قال تعالى ﴿وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ أي أحسن العبادة والطاعة لله عزَّ وجلّ.

الجزء الأول — سورة البقرة

وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ لَيْسَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ عَلَىٰ شَيْءٍ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ
لَيْسَتِ ٱلْيَهُودُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ كَذَٰلِكَ قَالَ
ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ ۚ فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ
فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١١٣﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ
ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ وَسَعَىٰ فِى خَرَابِهَا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ مَا كَانَ
لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَآ إِلَّا خَآئِفِينَ ۚ لَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ
وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١٤﴾ وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ
فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿١١٥﴾
وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ۗ سُبْحَٰنَهُۥ ۖ بَل لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلْأَرْضِ ۖ كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ﴿١١٦﴾ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ
وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿١١٧﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ
لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا ٱللَّهُ أَوْ تَأْتِينَآ ءَايَةٌ ۗ كَذَٰلِكَ
قَالَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّثْلَ قَوْلِهِمْ ۘ تَشَٰبَهَتْ قُلُوبُهُمْ ۗ
قَدْ بَيَّنَّا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿١١٨﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ
بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ۖ وَلَا تُسْـَٔلُ عَنْ أَصْحَٰبِ ٱلْجَحِيمِ ﴿١١٩﴾

﴿لَيْسَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ عَلَىٰ شَيْءٍ﴾ قال اليهود: دينُ النصارى باطلٌ وكفروا بعيسى ﴿لَيْسَتِ ٱلْيَهُودُ عَلَىٰ شَيْءٍ﴾ وكذلك النصارى قالوا في اليهود: دينهم باطل ﴿وَهُمْ يَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ﴾ اليهود يقرءون التوراة، والنصارى يقرءون الإنجيل، فقد كفروا بأنبيائهم عن علم ﴿لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ﴾ كذلك قال مشركو العرب الوثنيون: الإسلام باطل، ومحمد ليس برسول ﴿فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ﴾ يفصل بين أهل الأديان بحكمه العادل ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ﴾ لا أحد أظلم وأفجر ممن منع من عبادة الله ﴿وَسَعَىٰ فِى خَرَابِهَا﴾ بتعطيلها كما فعل كفار مكة منعوا الرسول ﷺ والمؤمنين من أداء مناسك العمرة ﴿أَن يَدْخُلُوهَآ إِلَّا خَآئِفِينَ﴾ ما ينبغي أن يدخلوا بيوت الله إلّا في خضوع وخشية، فضلاً عن التجرؤ على هدمها

﴿خِزْىٌ﴾ ذلة ومهانة ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ﴾ الجهاتُ كلها لله فإلى أي جهةٍ توجهتم في صلاتكم، فهناك قبلةُ الله، نزلت فيمن أضاع القبلة في سفره ينحرى ويُصلّي ﴿قَٰنِتُونَ﴾ خاضعون منقادون ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ خالقهما ومبدعهما على غير مثالٍ سبق. وفيه معنى الاختراع، كمن يبتكر شيئاً لم يُسبق إليه ﴿كُن فَيَكُونُ﴾ إذا أراد أمراً، حصل فوراً، من غير امتناع ولا إبطاء ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ الوثنيون عبدة الأصنام والأوثان ﴿لَوْلَا يُكَلِّمُنَا ٱللَّهُ﴾ هلاّ يكلمنا الله، ويخبرنا بأنك رسوله!؟ ﴿أَوْ تَأْتِينَآ ءَايَةٌ﴾ تأتينا بمعجزة ساطعة قاطعة على صدق رسالتك!! ﴿مِن قَبْلِهِم مِّثْلَ قَوْلِهِمْ﴾ يعني قال الكفار مثل قول اليهود والنصارى، قالوا: دينُ الإسلام باطل، وما نحن عليه هو الحقُّ.

﴿تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾ حتى تترك الإسلام المنير وتتّبع دينهم الأعوج ﴿هُوَ الْهُدَىٰ﴾ ما أنتَ عليه من الإسلام هو الدين الحق ﴿وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم﴾ سايرتهم على كفرهم وضلالهم ﴿مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ ليس لك من يتولى أمرك ويدفع عنك عذاب الله، والمرادُ أمّتُه لأن الرسول ﷺ معصوم

﴿يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ﴾ يقرءونه كما أُنزل دون تحريف ولا تبديل ﴿فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ في زمانهم، لا أفضل من جميع الأمم ﴿عَدْلٌ﴾ لا يُقبل منها فداء ﴿وَلَا تَنفَعُهَا شَفَاعَةٌ﴾ لا تفيدها شفاعة بسبب الكفر ﴿ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ﴾ كلّفه بتكاليف، وامتحنه بمحنٍ قاسية فنفّذها، كصبره على النار، وهجرته من وطنه، وامتحانه بذبح ولده إسماعيل ﴿مَثَابَةً﴾ مرجعاً للناس يتردّدون إليه بين حينٍ وحين ﴿فَأُمَتِّعُهُ﴾ أجعله يستمتع بدنياه ﴿أَضْطَرُّهُ﴾ ألجئه لعذاب الجحيم.

الجزء الأول — سورة البقرة

وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ ۗ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٢٠﴾ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ ۚ أُولَٰئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿١٢١﴾ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿١٢٢﴾ وَاتَّقُوا يَوْمًا لَّا تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنفَعُهَا شَفَاعَةٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿١٢٣﴾ ۞ وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي ۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ ﴿١٢٤﴾ وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا ۖ وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى ۖ وَعَهِدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴿١٢٥﴾ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُم بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۖ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ ۖ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿١٢٦﴾

طلب الخليل إبراهيم أن يرزق اللّهُ المؤمنين فقط، فأجابه ربه: إني أرزق المؤمن والكافر، والبَرّ والفاجر، كيف أخلق خلقاً ثم لا أرزقهم!؟ لكنّ أرزقه في الدنيا، ثم أُذيقه العذاب الأليم في الآخرة. قاسَ إبراهيم عليه السلام الرزقَ على الإمامة، فنبّهه تعالى على أن الرزق رحمة دنيوية، تشمل المؤمن والكافر، والبرّ والفاجر، بخلاف الإمامة ـ يعني النبوة ـ فإنها نعمة إلهية خاصة بالأبرار فلا يُقاس أمرُ الرزقِ على النبوّة ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾!! فإن الفارق بينهما كبير.

وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ
مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ
لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ
إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾ رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا
مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ
وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾ وَمَن يَرْغَبُ عَن
مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا
وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٣٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ
قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٣١﴾ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ
وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا
وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ
ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُوا۟ نَعْبُدُ
إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا
وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٣﴾ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا
مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٣٤﴾

﴿ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ﴾ يبني قواعده ويرفع بناءه ﴿وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا﴾ علّمنا مناسك حجّنا وعمرتنا ﴿رَسُولًا مِّنْهُمْ﴾ من العرب، والمرادُ به بعثةُ محمد خاتم النبيّين ﷺ ﴿ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾ القرآن العظيم، والسنة النبوية المطهرة ﴿وَيُزَكِّيهِمْ﴾ يطهّرهم من رجس الشرك والوثنيّة ﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ﴾ لا يزهد في دين إبراهيم ويُعرض عنه ﴿إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ﴾ إلا السفيه الأحمق، الذي استخفّ نَفْسَه وامتهنها ﴿ٱصْطَفَيْنَٰهُ﴾ اخترناه للرسالة والإمامة ﴿أَسْلِمْ﴾ استسلمْ لأمر ربك وحكمه ﴿ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ﴾ اختار لكم دين الإسلام ﴿فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ اثبتوا على الإسلام لتموتوا عليه ﴿حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ﴾ أشرف على الموت ﴿أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ﴾ مضتْ قبلكم وسلفتْ، وكانت على الهدى والخير ﴿وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ كلُّ نفسٍ تتحمل ما فعلته في الدنيا من الأعمال، ويعقوبُ هو نبيُّ اللَّهِ المسمى «إسرائيل» الذي ينتسب إليه اليهود، فكيف يزعمون الانتساب إليه، وهم يخالفون وصيَّته ودينه!؟

كنّى بالموت عن مقدماته في قوله ﴿حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ﴾ لأن الإنسان إذا مات، لا يستطيع أنْ يوصي بشيء، وفي التعبير بقوله (حضر الموتُ) كناية لطيفة غريبة، كأنه شخص غائب، لا بدَّ أن يقدم، ولذلك ورد في الدعاء المأثور (واجعل الموتَ خيرَ غائبٍ تنتظره)!!

﴿هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ تَهْتَدُوا۟﴾ قال اليهود: كونوا على ديننا اليهودية تهتدوا، وقال النصارى: كونوا نصارى تهتدوا ﴿قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِـۧمَ﴾ أي بل نتّبع دينَ الحنيفية السمحة دينَ إبراهيم ﴿حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ مائلاً عن الأديان كلّها إلى الدين الحق، ولم يكن إبراهيم مشركاً، وفيه تعريض بشرك أهل الكتاب ﴿وَٱلْأَسْبَاطِ﴾ الأسباط هم حفدةُ يعقوب، جاء من نسلهم أنبياءُ بني إسرائيل ﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ﴾ لا نؤمن بالبعض ونكفر بالبعض، كما فعل اليهود والنصارى ﴿وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾ منقادون خاضعون لأمر الله ﴿شِقَاقٍ﴾ عداوة ومخالفة ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ﴾ يقيك اللَّهُ شرَّهم وأذاهم ﴿صِبْغَةَ ٱللَّهِ﴾ دين الله الذي فطرنا عليه، حتى صار ملازماً لنا كالصبغ في الثوب ﴿أَتُحَآجُّونَنَا﴾ تجادلوننا في أمر الدين؟ وربُّ العزة والجلال هو خالقنا وخالقكم، فكيف تزعمون أنكم أبناء الله وأحبَّاؤه، وأنكم أهل الجنة دون من سواكم؟ ﴿وَلَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ﴾ لنا جزاء أعمالنا ولكم جزاء أعمالكم، لا يتحمل أحد وزر غيره ﴿كَانُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ﴾ هل تزعمون أن الأنبياء كانوا على دين اليهودية أو النصرانية، فتكذبون عليهم وعلى الله؟ ﴿ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ ٱللَّهُ﴾؟ هل أنتم أعلم بحقيقة ما كانوا عليه، أم ربُّ العزة والجلال؟ وقد شهد الله لهم بأنهم كانوا مسلمين ﴿كَتَمَ شَهَٰدَةً﴾ لا أحد أفجرُ وأظلم، ممن أخفى الحقيقة التي أخبر اللهُ عزَّ وجلَّ عنها!!

﴿ سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِى كَانُوا۟ عَلَيْهَا ۚ قُل لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٤٢﴾ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۗ وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ۚ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٣﴾ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِى ٱلسَّمَآءِ ۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا ۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ ۗ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٤٤﴾ وَلَئِنْ أَتَيْتَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ بِكُلِّ ءَايَةٍ مَّا تَبِعُوا۟ قِبْلَتَكَ ۚ وَمَآ أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ ۚ وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ ۚ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٥﴾

﴿سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ﴾ الحمقى ضعفاء العقول ﴿مَا وَلَّىٰهُمْ﴾ ما صرفهم ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ﴾ الجهات كلُّها لله يأمر بالتوجه إلى أيِّ جهةٍ شاء، وهذا إخبار عن الغَيب، فقد قال السفهاء: لماذا ترك محمد قبلته الأولى (بيت المقدس) وانصرف إلى البيت الحرام؟ ﴿أُمَّةً وَسَطًا﴾ أمة عدولاً خياراً ﴿يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ﴾ يرجع عن الإيمان إلى الكفر ﴿لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ﴾ صلاتكم إلى بيت المقدس ﴿نَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ ترديد بصرك نحو السماء تشوقاً لتحويل القبلة ﴿قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا﴾ فلنوجهنَّك إلى قبلة تحبُّها ﴿شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ توجَّهْ في صلاتك جهة الكعبة المعظَّمة ﴿وَوُلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ﴾ في أي مكان كنتم فتوجهوا في صلاتكم نحو الكعبة المشرَّفة، فهي قبلتكم المعتمدة ﴿أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ﴾ اليهود والنصارى ﴿لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ﴾ يعرفون أن قبلة محمد ﷺ (الكعبة المشرفة) لأنَّ في كتبهم أنه يتحوَّل إليها، ولكنهم يعاندون ويكابرون.!

سُئل ﷺ عن من مات، وهو يصلِّي إلى بيت المقدس، قبل تحويل القبلة؟ فنزل قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ﴾ يعني صلاتكم، وأما شهادتنا على الأمم، فقد ورد في الصحيح، أنّ الله تعالى يقول لنوح: هل بلَّغتَ؟ فيقول: نعم يا رب، فيقال لأمته: هل بلَّغكم؟ فيقولون: ما جاءنا من نذير!! فيقول: من يشهد لك؟ فيقول: محمدٌ وأمته، فذلك قوله تعالى ﴿لِتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ رواه البخاري.

ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤٦﴾ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿١٤٧﴾ وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا ۖ فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ أَيْنَ مَا تَكُونُوا۟ يَأْتِ بِكُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٤٨﴾ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۖ وَإِنَّهُۥ لَلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٤٩﴾ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۖ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِى وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِى عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٠﴾ كَمَآ أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا۟ تَعْلَمُونَ ﴿١٥١﴾ فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِى وَلَا تَكْفُرُونِ ﴿١٥٢﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٣﴾

﴿كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ﴾ يعرفون محمداً بأوصافه كما يعرف أحدُهم ولده، قال «عبد الله بن سلام»: لَمعرفتي بمحمد أشدُّ من معرفتي بابني، فإن أوصافه ﷺ في التوراة لا تختلف بمقدار شعرة، وأمّا ولدي فلا أدري ما كان من أمه!؟ ﴿لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ﴾ يخفون أوصافه عن علم ومعرفة ﴿الْمُمْتَرِينَ﴾ الشاكّين في أمر رسالته ﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ﴾ لكل أمةٍ من الأمم قبلةٌ ﴿هُوَ مُوَلِّيهَا﴾ يتوجه إليها الإنسان في صلاته ﴿فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾ فبادروا وسارعوا إلى فعل الخيرات ﴿يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ﴾ في أي موضعٍ تكونون يجمعكم اللّهُ للحساب والجزاء ﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ﴾ لا تخافوهم ﴿بِكُلِّ آيَةٍ﴾ معجزة تدلُّ على صدق رسالتك ﴿وَيُزَكِّيكُمْ﴾ يطهّركم من رجس الشرك والوثنية، كما يعلّمكم أحكام الكتاب العزيز، والسُّنّة النبويّة المطهّرة، فاشكروا ربكم على نعمه الجليلة.!

أمر سبحانه عباده في أمور الآخرة، بالمسارعة والمسابقة ﴿فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾ ﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ وأمّا في أمور الدنيا، فلم يأمرنا إلّا بالهُوَيْنى، بالمشي دون السعي ﴿فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ﴾ لأن الآخرة تحتاج إلى بذلِ جهدٍ واجتهاد، أمّا الدنيا فقد قسم الله فيها الأرزاق والأعمار، فلا تحتاج إلى عناءٍ وتعب، وكدٍّ ونَصَب.

وَلَا تَقُولُوا لِمَن يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ ۚ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَٰكِن
لَّا تَشْعُرُونَ ﴿١٥٤﴾ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ
وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ ۗ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ
﴿١٥٥﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ
﴿١٥٦﴾ أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُولَٰئِكَ
هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾ ۞ إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَائِرِ اللَّهِ ۖ
فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ
بِهِمَا ۚ وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٥٨﴾ إِنَّ الَّذِينَ
يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِن بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ
لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ ۙ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ
﴿١٥٩﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُوا فَأُولَٰئِكَ أَتُوبُ
عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١٦٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ
كُفَّارٌ أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ
﴿١٦١﴾ خَالِدِينَ فِيهَا ۖ لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ
﴿١٦٢﴾ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۖ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾

﴿أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ﴾ لا تقذولوا عن الشهداء إنهم أموات، بل هم أحياء عند ربهم يرزقون ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ﴾ لنختبرنكم بأنواع المحن ﴿صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ﴾ ثناءٌ من الله عليهم، ورفع لدرجاتهم ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَائِرِ اللَّهِ﴾ من أعلام دينه في الحج ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ﴾ لا حرج ولا إثم عليه بالسعي بين الصفا والمروة، كان أهلُ الجاهلية يسعون بين الصفا والمروة لصنمَيْن (إساف) و(نائلة) فلما جاء الإسلام خافوا أن يتشبَّهوا بأهل الجاهلية فنزلت ﴿يَكْتُمُونَ﴾ يُخفون ﴿الْبَيِّنَاتِ﴾ الدلائل الواضحة كالمعجزات ﴿وَيَلْعَنُهُمُ﴾ يطردهم من رحمته ﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾ ماكثين في جهنم على الدوام ﴿لَا يُخَفَّفُ﴾ لا يُخفَّفُ عنهم العذاب ولو فترةً قصيرة ﴿وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾ لا يُمهلون ولا يُؤخَّرون عن العذاب لحظة واحدة، عذابهم دائم، ومسكنهم الجحيم.

نهانا تعالى أن نقول عن الشهداء إنهم أموات، وأخبر أنهم أحياء، وقد قال ﷺ: «لمَّا أُصيب إخوانكم بأُحد، جعلَ الله أرواحهم في جوف طيرٍ خُضر، ترِدُ أنهار الجنة، تأكل من ثمارها، وتأوي إلى قناديل من ذهب، معلَّقةٍ في ظلِّ العرش، فلما وجدوا طيبَ مأكلهم، ومشربهم، ومقيلهم، قالوا: من يبلِّغُ عنا إخواننا أننا أحياء في الجنة نُرزق؟ فقال الله سبحانه: أنا أبلِّغهم عنكم، فأنزل ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا . .﴾ الآية» أخرجه أبو داود.

الجزء الثاني سورة البقرة
إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ
وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِي تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ
مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا
مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ
بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾ وَمِنَ
ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ
وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ إِذْ يَرَوْنَ
ٱلْعَذَابَ أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعَذَابِ ﴿١٦٥﴾
إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا۟ وَرَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ
وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ ﴿١٦٦﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا۟ لَوْ أَنَّ
لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا۟ مِنَّا ۗ كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ
أَعْمَٰلَهُمْ حَسَرَٰتٍ عَلَيْهِمْ ۖ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ ﴿١٦٧﴾
يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُوا۟ مِمَّا فِي ٱلْأَرْضِ حَلَٰلًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا۟
خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿١٦٨﴾ إِنَّمَا يَأْمُرُكُم
بِٱلسُّوٓءِ وَٱلْفَحْشَآءِ وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٦٩﴾

﴿وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ تعاقبهما بنظام محكم، يأتي الليل ثم يعقبه النهار ﴿وَٱلْفُلْكِ﴾ السفن العظيمة التي تسير فوق سطح البحر بقدرة الله ﴿وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ﴾ فرّق ونشر في الأرض من أنواع المخلوقات بطريق التوالد ﴿وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ﴾ تقليبها في مهابّها، حارة وباردة، وعاصفة ولينة ﴿لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ علامات واضحة ساطعة على قدرة الله ووحدانيته، لقوم يستعملون عقولهم، ولا يُهملون التفكير ﴿أَندَادًا﴾ شركاء مع الله ﴿وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ﴾ تفرّقت بهم أواصر المودة والمحبة ﴿كَرَّةً﴾ رجعة وعودة ﴿حَسَرَٰتٍ﴾ ندامات شديدة ﴿خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ آثار الشيطان وطرق إغوائه ﴿بِٱلسُّوٓءِ﴾ بالمعاصي والذنوب ﴿وَٱلْفَحْشَآءِ﴾ ما تناهى قبحه من الرذائل، كالزنى، واللواطة، والقتل، والسعي في الأرض بالفساد.

ذكر تعالى من آثار قدرته ووحدانيته ثمانية دلائل: الأول: السموات وما فيها من بدائع الخلق، من شمس وكواكب وقمر، **الثاني**: الأرض وما فيها من جبال وبحار وأنهار، **الثالث**: اختلاف الليل والنهار بالطول والقِصَر، **الرابع**: السفن العظيمة تمخر عُباب البحار، **الخامس**: المطر الذي جعله الله سبباً لحياة البشر، **السادس**: ما خلق في الارض من أنواع المخلوقات مع اختلاف الأشكال والصور، **السابع**: تصريف الرياح وتقليبها باردة وحارة، **الثامن**: السحاب الذي يحمل آلاف الأطنان من الماء، وكلُّها دلائل باهرة على القدرة والوحدانية.

وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ
ءَابَآءَنَآ ۚ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا
يَهْتَدُونَ ﴿١٧٠﴾ وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ
بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً ۚ صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ
﴿١٧١﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ
وَٱشْكُرُوا۟ لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١٧٢﴾ إِنَّمَا حَرَّمَ
عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ
لِغَيْرِ ٱللَّهِ ۖ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ
غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٧٣﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ
ٱلْكِتَٰبِ وَيَشْتَرُونَ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ مَا يَأْكُلُونَ
فِى بُطُونِهِمْ إِلَّا ٱلنَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ
وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٤﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ
ٱشْتَرَوُا۟ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ وَٱلْعَذَابَ بِٱلْمَغْفِرَةِ ۚ فَمَآ
أَصْبَرَهُمْ عَلَى ٱلنَّارِ ﴿١٧٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ
بِٱلْحَقِّ ۗ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَفِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ ﴿١٧٦﴾

﴿أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ﴾ ما وجدنا عليه آباءنا ﴿يَنْعِقُ﴾ يصيح في الأغنام ﴿دُعَآءً وَنِدَآءً﴾ تسمع الصوت ولا تفهم الكلام، مثّل تعالى للكفار بالراعي الذي يصيح على أغنامه ويزجرها، فهي تسمع الصوت والنداء دون أن تفهم المرادَ والكلام، كذلك الكفار كالدواب السارحة لا ينتفعون بآيات القرآن ﴿صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ﴾ هم كالصمّ الذين لا يسمعون، والخرس لا يتكلمون، والعمي الذين لا يبصرون ﴿وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ﴾ ما ذُكر عند ذبحه اسم غير الله كقول المشركين: باسم اللات والعُزّى ﴿ٱضْطُرَّ﴾ ألجأته الضرورة للأكل من المحرمات ﴿غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ﴾ غير طالب للمحرَّم ولا متجاوزٍ ما يسدُّ الرَّمَقَ ﴿فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ فلا عقوبة عليه في الأكل، لأن الضرورات تبيح المحظورات ﴿يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ يخفون صفة النبي ﷺ المذكورة في التوراة، وهم اليهود الخبثاء ﴿وَيَشْتَرُونَ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ يأخذون مكانه عوضاً حقيراً من حطام الدنيا ﴿وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ﴾ كلام رضى ومسامحة، بل كلام غضب وسخط، كقوله: ﴿ٱخْسَـُٔوا۟ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾ فنفيُ تكليمه لهم يراد به كلام الرضوان ﴿وَلَا يُزَكِّيهِمْ﴾ لا يطهرهم من دنس الكفر والذنوب ﴿فَمَآ أَصْبَرَهُمْ عَلَى ٱلنَّارِ﴾ ما أشدَّ صبرهم على نار جهنم!؟ وهو تعجيب من تمسكهم بالكفر والضلال ﴿شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ﴾ في خلافٍ ونزاع، بعيد عن الحق والصواب، وهذا شأنُ أهل الكتاب، عرفوا الحقّ فلم يؤمنوا به، ولم يقبلوه.

الجزء الثاني — سورة البقرة

لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ
الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ
وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ
وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ
الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا ۖ
وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ ۗ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ
صَدَقُوا ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ
عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى ۖ الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنثَىٰ
بِالْأُنثَىٰ ۚ فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ
إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ۗ ذَٰلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ ۗ فَمَنِ اعْتَدَىٰ
بَعْدَ ذَٰلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٨﴾ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ
يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧٩﴾ كُتِبَ عَلَيْكُمْ
إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ
وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ ﴿١٨٠﴾ فَمَن بَدَّلَهُ
بَعْدَمَا سَمِعَهُ فَإِنَّمَا إِثْمُهُ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ ۚ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٨١﴾

﴿الْبِرَّ﴾ أعمال الخير والصالحات ﴿وَلَٰكِنَّ الْبِرَّ﴾ ولكنّ البرّ الصحيح من آمن بوحدانية الله وصدّق بلقائه ﴿وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ﴾ وصدّق بملائكة الله، وكتبه السماوية، وأنبيائه المرسلين ﴿وَآتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ﴾ أعطى المال وتصدّق على حاجته للمال وحبه له ﴿وَابْنَ السَّبِيلِ﴾ المسافر الذي انقطع في سفره ﴿وَفِي الرِّقَابِ﴾ تحرير الأسرى وفدائهم من الرّق ﴿الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ﴾ الصابرين على المشاقّ والأمراض ﴿وَحِينَ الْبَأْسِ﴾ حال القتال في الحرب ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ﴾ فرض عليكم أن تقتصّوا للمقتول من قاتله ﴿الْحُرُّ بِالْحُرِّ﴾ الحرُّ يُقتل بالحر ﴿وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ﴾ والعبد يُقتل بالعبد ﴿وَالْأُنثَىٰ بِالْأُنثَىٰ﴾ والمرأةُ تقتل بالمرأة، بالمساواة دون عدوان، كانوا في الجاهلية يقتلون الذكر بالأنثى، والكبير بالصغير، ويقتلون بالواحد عشرةً أو أكثر، فنزلت الآية. ﴿إِن تَرَكَ خَيْرًا﴾ مالاً كثيراً أو قليلاً. وقد نُسخت بآية المواريث، **قال قتادة:** كان في أهل الجاهلية بغيٌ وعدوان، وكان الحيُّ منهم إذا كان لهم عزٌّ ومَنَعة، فقتل عبدُهم عبدَ آخرين، قالوا: لن نقتل به إلاَّ حراً، وإذا قتلَتْ امرأةٌ منهم أخرى، قالوا: لن نقتل بها إلَّا رجلاً، فأنزل الله ﴿الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ﴾ وأشارت الآية ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ﴾ إلى معنى سامٍ بديع، وهو أن في قتل القاتل حياةً للنفوس، فإن القاتل إذا أيقن بأنه سيُقتلُ إن قَتَل، كفَّ عن القتل، فأحيا نفسه وأحيا الآخرين، وبذلك تُصان الدماءُ، وتُحفظ حياةُ البشر.

فَمَنْ خَافَ مِن مُّوصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَآ إِثْمَ
عَلَيْهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨٢﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ
عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ
لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ ۚ فَمَن كَانَ مِنكُم
مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ۚ وَعَلَى ٱلَّذِينَ
يُطِيقُونَهُۥ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ ۖ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ
لَّهُۥ ۚ وَأَن تَصُومُوا۟ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٤﴾ شَهْرُ
رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ
وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ ۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ
فَلْيَصُمْهُ ۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ
أَيَّامٍ أُخَرَ ۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ
ٱلْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا۟ ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا
هَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٨٥﴾ وَإِذَا سَأَلَكَ
عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ
فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾

﴿مُوصٍ﴾ من الموصي الذي شارف الموت ﴿جَنَفًا﴾ ميلاً عن الحق ﴿أَوْ إِثْمًا﴾ أو ارتكاباً للظلم عمداً ﴿فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ﴾ فأصلح بين الموصي والموصى له ﴿فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ لا ذنب عليه ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ﴾ فُرض عليكم صيام شهر رمضان ﴿وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ﴾ يستطيعون صيامه لكنْ بمشقة عظيمة، كالشيخ الهرم، والعجوز المسنّة ﴿فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ﴾ يُطعم مسكيناً مكان كل يوم يفطره ﴿فَمَن شَهِدَ﴾ من حضرهُ شهر رمضان وكان حياً فليصُمْ هذا الشهر ﴿فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ إذا أفطر للمرض أو السفر فليقض أياماً بعدد الأيام التي أفطرها ﴿وَلِتُكْمِلُوا۟ الْعِدَّةَ﴾ لتكملوا عدة شهر رمضان بقضاء ما أفطرتم ﴿وَلِتُكَبِّرُوا۟ اللَّهَ﴾ لتحمدوا الله على ما أرشدكم إليه من معالم الدين الحنيف، وإنما خُصّ رمضانُ بفريضة الصيام، لتذكير المؤمنين بنعمة الله عليهم بنزول الكتاب العزيز ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْءَانُ﴾ ابتدأ به نزولُ القرآن الكريم، فلم ينزل القرآن كلُّه في شهر رمضان ﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ﴾ رأى هلال رمضان، أو أدركه شهر رمضان وهو حيٌّ، فعليه أن يصومه ﴿فَإِنِّى قَرِيبٌ﴾ روي أن جماعة من الأعراب سألوا النبيَّ ﷺ فقالوا يا محمد: أقريب ربُّنا فنناجيه ـ أي ندعوه سرًّا ـ أم بعيدٌ فنناديه؟ فأنزل الله عزَّ وجلّ ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ﴾ رواه الطبري.

والمعنى: إنني مع عبادي، أسمع دعاءهم، وأرى مكانهم، وأجيبُ من دعاني.

الجزء الثاني — سورة البقرة

أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَائِكُمْ ۚ هُنَّ لِبَاسٌ
لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ ۗ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ
أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْ ۖ فَالْآنَ بَاشِرُوهُنَّ
وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ ۚ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ
الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ۖ ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ
إِلَى اللَّيْلِ ۚ وَلَا تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ ۗ
تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ
لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٨٧﴾ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم
بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِّنْ
أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٨﴾ يَسْأَلُونَكَ
عَنِ الْأَهِلَّةِ ۖ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ ۗ وَلَيْسَ الْبِرُّ
بِأَن تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَٰكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَىٰ ۗ
وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ
تُفْلِحُونَ ﴿١٨٩﴾ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ
وَلَا تَعْتَدُوا ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴿١٩٠﴾

﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَائِكُمْ﴾ جماع النساء في ليالي رمضان ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ﴾ هنَّ سترٌ وسكنٌ لكم وأنتم سكنٌ لهنَّ ﴿تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ﴾ تخونونها بجماعهن في ليالي رمضان، روى البخاري عن البراء قال: **لمَّا نزل صومُ رمضان كانوا لا يقربون النِّساء رمضانَ كلَّه، وكان رجال يخونون أنفسهم فأنزل الله الآية**، وأباح لهم الاستمتاع في ليالي رمضان ﴿فَالْآنَ بَاشِرُوهُنَّ﴾ جامعوهنَّ واطلبوا بنكاحهن الذرية والولد، ولا تباشروهن لقضاء الشهوة فقط ﴿الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ﴾ نور النهار من ظلمة الليل، وهي استعارة بديعة ﴿عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ﴾ معتكفون فيها لعبادة الله ﴿وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ﴾ تدفعوها لهم رشوة ﴿مَوَاقِيتُ﴾ أوقات لمعرفة مواعيد الصوم، والحج، والزكاة، والحكمةُ من ربط العبادات الدينية بالقمر دون الشمس، لتتعاقب الفصول عليها، ولهذا يأتي الصوم أحياناً في الصيف، وأخرى في الشتاء، وكذلك الحج.. الرَّفثُ في الآية كناية عن الجماع، وقد جاء التعبير بقوله سبحانه ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ﴾ في غاية الجمال والإبداع، فالمرأة للرجل لباسٌ وستر، تُزيّنه وتُكمّله وتُجمّله، والرجل سترٌ للمرأة ولباس، يزيّنها ويُجمّلها ويسترها، ولولا اللباسُ لبدت سوأةُ كلٍّ منهما، فانظر ـ رعاك الله ـ إلى روعة البيان في تصوير القرآن ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ﴾ وهذا التعبيرُ من ألطف أنواع الاستعارة البيانية، التي هي من خصائص القرآن.

الجزء الثاني — سورة البقرة

وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ ۚ وَالْفِتْنَةُ
أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ ۚ وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِندَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَاتِلُوكُمْ
فِيهِ ۖ فَإِن قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ ۗ كَذَٰلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ ﴿١٩١﴾ فَإِنِ انتَهَوْا
فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٩٢﴾ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ
الدِّينُ لِلَّهِ ۖ فَإِنِ انتَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ ﴿١٩٣﴾ الشَّهْرُ الْحَرَامُ
بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ ۚ فَمَنِ اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا
عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ
الْمُتَّقِينَ ﴿١٩٤﴾ وَأَنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ ۛ
وَأَحْسِنُوا ۛ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٩٥﴾ وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ ۚ
فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ ۖ وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ
الْهَدْيُ مَحِلَّهُ ۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِّن رَّأْسِهِ فَفِدْيَةٌ
مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ ۚ فَإِذَا أَمِنتُمْ فَمَن تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ
فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ ۚ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ
إِذَا رَجَعْتُمْ ۗ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ۗ ذَٰلِكَ لِمَن لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي
الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿١٩٦﴾

﴿ثَقِفْتُمُوهُمْ﴾ وجدتموهم في حِلٍّ أو حرم ﴿وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ﴾ فتنةُ المؤمن عن دينه أشدّ من قتلكم لهم في الحرم، فإذا استعظموا القتال فيه فجريمتهم أعظم ﴿لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾ قاتلوا المشركين حتى لا يُفتن أحد في دينه، وحتّى تكسروا شوكتهم ﴿وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ﴾ يعلو الإسلام وترتفع رايته على سائر الأديان ﴿الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ﴾ هتكُ حرمة الشهر الحرام تُقابل بمثلها، فكما استحلُّوا دماءكم فيه فاستحلُّوا أنتم دماءهم ﴿التَّهْلُكَةِ﴾ الهلاك ويراد به هنا ترك الجهاد والإنفاق في سبيل الله كما قال أبو أيوب الأنصاري ﴿أُحْصِرْتُمْ﴾ مُنعتم عن إتمام الحج بعدوٍّ أو مرض ﴿الْهَدْيِ﴾ فاذبحوا ما تيسّر لكم من الأنعام، وأقلُّه شاة ﴿يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحِلَّهُ﴾ مكان وجوب ذبحه وهو (الحرمُ) أو حيث أحصرتم ﴿نُسُكٍ﴾ ذبيحة وأقلُّها شاة.

والحكم هنا على التخيير كما يقول الفقهاء، لأن الله ذكرها بـ(أو) المفيدة لجواز أيّ شيء منها: الصيام، أو الصدقة، أو ذبح الشاة.. عبّر سبحانه عن ترك الجهاد بالتهلكة ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾

لأن ترك الجهاد هلاكٌ لدين الإنسان، حيث يتغلب الأعداء على المؤمنين، (رُوي أن رجلاً من المسلمين، اخترق جنود الروم في إحدى الغزوات، فصاح الناسُ ألقى بنفسه إلى التهلكة!! فقال «أبو أيوب الأنصاري»: إنكم تحملون هذه الآية على غير معناها، فينا نحن معشرَ الأنصار نزلت هذه الآية، حين قلنا: لقد أعزَّ الله الإسلام وكثر أنصاره، فلو أقمنا في أموالنا فأصلحناها فنزلت الآية، فكانت التهلكةُ، في ترك الإنفاق وترك الغزو) رواه الترمذي.

الجزء الثاني — سورة البقرة

ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ ۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ
وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ ۗ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ
يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ۗ وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ۚ وَٱتَّقُونِ
يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٧﴾ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن
تَبْتَغُوا۟ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ ۚ فَإِذَآ أَفَضْتُم مِّنْ
عَرَفَٰتٍ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ عِندَ ٱلْمَشْعَرِ ٱلْحَرَامِ ۖ
وَٱذْكُرُوهُ كَمَا هَدَىٰكُمْ وَإِن كُنتُم مِّن قَبْلِهِۦ
لَمِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿١٩٨﴾ ثُمَّ أَفِيضُوا۟ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ
ٱلنَّاسُ وَٱسْتَغْفِرُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٩٩﴾
فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَاسِكَكُمْ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَذِكْرِكُمْ
ءَابَآءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا ۗ فَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن
يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ
خَلَٰقٍ ﴿٢٠٠﴾ وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا
حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿٢٠١﴾
أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا۟ ۚ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٠٢﴾

﴿ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ﴾ وقت الحج وزمانه في أشهرٍ معلومة هي «شوال، وذو القعدة، وعشرٌ من ذي الحجة» هذا زمان الإحرام بالحج ﴿فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ﴾ ألزم نفسه الإحرام فيها ﴿فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ﴾ فلا يقرب النساء، ولا يفعل معصية، ولا يخاصم أحداً من الناس لأنه في عبادة ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ﴾ لا حرج ولا إثم في التجارة في الحج، فإن التجارة الدنيوية لا تنافي العبادة الدينية ﴿أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَٰتٍ﴾ انتهيتم من الوقوف بعرفات، ودفعتم منها ﴿ٱلْمَشْعَرِ ٱلْحَرَامِ﴾ في مزدلفة ﴿أَفَاضَ ٱلنَّاسُ﴾ انزلوا من عرفة لا من مزدلفة شأن المستكبرين، نزلت في (الحُمْس) من قريش كانوا لا يقفون بعرفة ويقولون: نحن سُكَّان حرم الله لا نخرج من الحرم ويقفون بمزدلفة ثم يُفيضون منها فأمرهم الله بالوقوف بعرفة ثم الإفاضة منها، حيث يقف سائر الناس ﴿خَلَٰقٍ﴾ (نصيب من رحمة الله.. كان العرب في الجاهلية إذا قضوا مناسكهم، وقفوا في منى قريباً من (مسجد الخَيْف) يذكرون مفاخر آبائهم وأجدادهم، فيقول أحدهم: كان أبي كريماً كثير الضيوف، رحب الفناء، كثير العطاء، يحمي الضعيف، ويفكُّ الأسير، ويقري الضيف، يذكر مآثره ومفاخره، ويتناشدون الأشعار، وغرضُهم الشهرة والحمية، فنزل قوله تعالى: ﴿فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَذِكْرِكُمْ ءَابَآءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا﴾ الآية.

وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ ۚ فَمَن تَعَجَّلَ فِي
يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ ۚ وَمَن تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ ۚ لِمَنِ اتَّقَىٰ ۗ
وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٠٣﴾ وَمِنَ
النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللَّهَ
عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ ﴿٢٠٤﴾ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ
فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ ۗ وَاللَّهُ
لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ ﴿٢٠٥﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ
بِالْإِثْمِ ۚ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ ۚ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴿٢٠٦﴾ وَمِنَ
النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ
رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ ﴿٢٠٧﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا
فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ ۚ
إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٠٨﴾ فَإِن زَلَلْتُم مِّن بَعْدِ
مَا جَاءَتْكُمُ الْبَيِّنَاتُ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ
﴿٢٠٩﴾ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا أَن يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ الْغَمَامِ
وَالْمَلَائِكَةُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ ۚ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴿٢١٠﴾

﴿أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ﴾ كبّروا الله في أيام عيد الأضحى ﴿تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ﴾ نَفَر من منى بعد تمام يومين غير يوم النحر ﴿فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ لا ذنب عليه ﴿وَمَن تَأَخَّرَ﴾ تأخر إلى اليوم الرابع من الأضحى فلا ذنب عليه بل هو أفضل ﴿لِمَنِ اتَّقَىٰ﴾ لمن أراد الحجّ على الوجه الأكمل ﴿تُحْشَرُونَ﴾ تُجمعون للحساب والجزاء ﴿أَلَدُّ الْخِصَامِ﴾ شديد الخصومة بالباطل ﴿وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ﴾ الزرع ﴿وَالنَّسْلَ﴾ الذرية من الإنسان والحيوان ﴿أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ﴾ حملته حميّةُ الجاهلية على الفساد والطغيان ﴿فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ﴾ يكفيه نار جهنم عقاباً له ﴿وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾ بئست جهنم فراشاً له ﴿يَشْرِي نَفْسَهُ﴾ يبيع نفسه في سبيل الله طلباً لمرضاته، نزلت في (صُهَيْب الرومي) ضحّى بكل ما يملك، من أجل أن يتركه المشركون يهاجر إلى المدينة المنورة ﴿ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً﴾ ادخلوا في الإسلام بجميع شرائعه وأحكامه، لا أن تأخذوا بعضاً، وتتركوا منه بعضاً ﴿زَلَلْتُم﴾ انحرفتم عن هداية الله ﴿يَنظُرُونَ﴾ ينتظرون مجيء العذاب.

سبب النزول: رُوي أن «صُهَيْبًا» لمّا أراد الهجرة، لحقه رجالٌ من قريش، فنزل عن راحلته، وقال: يا معشر قريش، تعلمون أني لا أُخطئ الرمي، والله لا تصلون إليَّ، حتى أرميَ كلَّ ما عندي، ثم أضرب بسيفي حتى ينكسر!! قالوا: جئتنا فقيراً لا تملك شيئاً، وأنت الآن ذو مال، فقال: إن دللتكم على مالي تتركونني؟ قالوا: نعم، فدلّهم على ماله فتركوه، ففيه نزلت الآية ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾ رواه الطبراني والحاكم وصحّحه.

سَلْ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ كَمْ ءَاتَيْنَٰهُم مِّنْ ءَايَةٍۭ بَيِّنَةٍ ۗ وَمَن يُبَدِّلْ نِعْمَةَ
ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢١١﴾ زُيِّنَ لِلَّذِينَ
كَفَرُوا۟ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۘ وَٱلَّذِينَ
ٱتَّقَوْا۟ فَوْقَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ
﴿٢١٢﴾ كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ
وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ
فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۚ وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعْدِ
مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۖ فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟
لِمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ
صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢١٣﴾ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا
يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ
وَزُلْزِلُوا۟ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ
أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ ﴿٢١٤﴾ يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ ۖ قُلْ
مَآ أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ
وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ۗ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٢١٥﴾

﴿سَلْ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ اسأل اليهود ﴿كَمْ ءَاتَيْنَٰهُم مِّنْ ءَايَةٍۭ بَيِّنَةٍ﴾ كم شاهدوا من معجزات باهرة ظهرت على يد موسى!! ﴿وَمَن يُبَدِّلْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ﴾ من يكفر بنعم الله بجحودها أو الاستهزاء بها ﴿شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ عقابه أليم وشديد ﴿ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا﴾ زُيِّنت لهم شهواتُ الدنيا ومباهجها حتى نسوا الآخرة ﴿وَيَسْخَرُونَ﴾ ويهزءون بالمؤمنين فيرمونهم بالسَّفه والجنون ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟﴾ والمؤمنون المتقون في درجات رفيعة عند الله يوم القيامة، يضحكون على الكفار ﴿بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ بلا نهاية ولا انقطاع ﴿أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ على الإيمان والفطرة ثم اختلفوا وتنازعوا وظهرت بينهم الوثنيةُ والإشراكُ ﴿مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾ مبشرين المؤمنين بالثواب، ومنذرين الكفار بالعقاب ﴿بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ﴾ حسداً بينهم وظلماً ﴿وَزُلْزِلُوا۟﴾ فُتنوا فتنةً عظيمة تشبه الزلزال، والتعبيرُ بالزلزلة يوحي بشدة الهول والكرب الذي نزل بهم، حتى يصل الأمرُ بالرسل وأتباعهم أن يقولوا: متى يأتينا النصرُ والفَرَجُ!! ﴿ٱلْبَأْسَآءُ﴾ الشدائد والنوائب بقتال الأعداء ﴿وَٱلضَّرَّآءُ﴾ المصائب والآلام والأمراض ﴿نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ﴾ قريب المجيء، فاستبشروا به يا معشر المؤمنين!! أشارت الآية إلى أن النصر يأتي عند شدة المحنة، وإذا كان الرسل - مع عُلوّ منزلتهم - بلغ بهم الضيقُ والحزنُ هذا المبلغ، دلّ ذلك على أن الشدّة قد بلغت منتهاها!! ﴿يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ﴾ ماذا ينفقون من أموالهم؟ وعلى من ينفقون؟ ﴿قُلْ مَآ أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَٰلِدَيْنِ﴾ قل لهم: أيّ شيء أنفقتموه، فالأحقُّ والأولى به آباؤكم وأقرباؤكم ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ﴾ لا يضيع عند الله، والغرضُ: الحثُّ على البِرّ، وصلة الأرحام.

كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢١٦﴾ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ۖ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ ۖ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَكُفْرٌۢ بِهِۦ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِۦ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَٱلْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ ٱلْقَتْلِ ۗ وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُوا۟ ۚ وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢١٧﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢١٨﴾ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ۖ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا ۗ وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ ۖ قُلِ ٱلْعَفْوَ ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْـَٔايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١٩﴾

﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ﴾ فُرض عليكم قتالُ المشركين ﴿وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ﴾ وهو مكروه لكم طبعاً، لما فيه من خطر هلاك النفس ﴿تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا﴾ ولعلكم تكرهون شيئاً وفيه كل الخير والنفع لكم ﴿قِتَالٍ فِيهِ﴾ يسألك أصحابك عن القتال في الشهر الحرام، أيحلُّ أم يحرم؟ ﴿قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ﴾ ذنب القتالِ فيه عظيم ﴿وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ ومنعُ الناس عن الدخول في الإسلام ﴿أَكْبَرُ مِنَ ٱلْقَتْلِ﴾ فتنةُ المسلم عن دينه أكبرُ عند الله من القتل ﴿حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ﴾ بطلت أعمالهم الصالحة وذهب ثوابها ﴿وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا﴾ ضرر الخمر والقمار، أعظمُ مما فيهما من النفع الماديّ، فضياعُ العقل، وذهابُ المالِ، وما يجرُّه القمار من خراب البيوت، ودمار الأسر، ظاهر واضحٌ للعَيان، لا ينكره إلَّا جاهل مكابر ﴿ٱلْعَفْوَ﴾ الفضل والزيادة عن الحاجة.

رُوي أنَّ عمرَ بنَ الخطاب رضي الله عنه جاء إلى رسول الله ﷺ مع نفرٍ من الأنصار، فقالوا: يا رسول الله، أفتِنَا في الخمر والميسر؟ فإنهما مَذْهَبةٌ للعقل، مسْلَبةٌ للمال!! فنزلت ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ . .﴾ الآية، والميسرُ: هو القمار، ومن القمار المحرَّم ما انتشر في هذا الزمان باسم (اليانصيب) فهو حرام، ولو كان الغرضُ منه جمع المال للأعمال الخيرية، كبناء المستشفيات، والمدارس، والجمعيات الخيرية، لأن الله طيِّبٌ لا يقبل إلَّا طيباً، كما جاء في الحديث الشريف.

سورة البقرة ٢
الجزء الثاني
فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ ۗ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْيَتَٰمَىٰ ۖ قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ
خَيْرٌ ۖ وَإِن تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ ٱلْمُفْسِدَ مِنَ
ٱلْمُصْلِحِ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٢٠﴾
وَلَا تَنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكَٰتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ ۚ وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ
مِّن مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ ۗ وَلَا تُنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ
يُؤْمِنُوا۟ ۚ وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ
يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ ۖ وَٱللَّهُ يَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱلْجَنَّةِ وَٱلْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِۦ ۖ
وَيُبَيِّنُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٢١﴾ وَيَسْـَٔلُونَكَ
عَنِ ٱلْمَحِيضِ ۖ قُلْ هُوَ أَذًى فَٱعْتَزِلُوا۟ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ ۖ
وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ ۖ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ
أَمَرَكُمُ ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾
نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ ۖ فَأْتُوا۟ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ ۖ وَقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُمْ ۚ
وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُم مُّلَٰقُوهُ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ
﴿٢٢٣﴾ وَلَا تَجْعَلُوا۟ ٱللَّهَ عُرْضَةً لِّأَيْمَٰنِكُمْ أَن تَبَرُّوا۟
وَتَتَّقُوا۟ وَتُصْلِحُوا۟ بَيْنَ ٱلنَّاسِ ۚ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٢٤﴾

﴿لَأَعْنَتَكُمْ﴾ لأوقعكم في الحرج والمشقة ﴿وَلَا تَنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكَٰتِ﴾ لا تتزوجوا بالمشركات الوثنيات حتى يؤمنّ بالله واليوم الآخر ﴿وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ﴾ عبدةٌ مملوكةٌ ﴿خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ﴾ أفضلُ من حُرّةٍ مشركة، ولو أعجبتكُم بحسنها وجمالها ﴿عَنِ ٱلْمَحِيضِ﴾ إتيان النساء وقت الحيض ﴿هُوَ أَذًى﴾ شيء مستقذرٌ وفيه أذى للزوجين ﴿حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ﴾ لا تجامعوهنّ حتى ينقطع عنهن دم الحيض ويطهرن بالاغتسال ﴿مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُ﴾ في المكان الذي أحلّه الله لكم «الفرج» لا الدُّبر مكان (القَذَر والنَّجس)!! ﴿حَرْثٌ لَّكُمْ﴾ الحرثُ: الزرعُ أي نساؤكم موضع الزرع، فالمرأة كالأرض، والنطفةُ كالبذر ﴿أَنَّىٰ شِئْتُمْ﴾ كيف شئتم، قائمة، قاعدة، مضطجعة، بشرط أن يكون في القُبُل وفي الحديث: «ملعون من أتى امرأةً في دُبُرها» ﴿عُرْضَةً﴾ مانعاً عن الخير بسبب حلفكم بالله.. قال ابن عباس: لا تجعلنَّ الله عُرضة ليمينك، أنْ لا تصنع الخيرَ، ولكنْ كفِّر عن يمينك وافعل الخير، ومراده أن لا يتعلَّل باليمين، بأن يقول: قد حلفتُ بالله أن لا أكلِّم فلاناً، أو أن لا أفعل هذا الشيء، وأريد أن أبرَّ بيميني، فيكون الله عزَّ وجل، كأنه هو السبب في منعه عن فعل الخير، وهذا ممَّا لا يتفق مع شريعة الله ﴿أَن تَبَرُّوا۟ وَتَتَّقُوا۟ وَتُصْلِحُوا۟ بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾ أي لا تجعلوا الحلف بالله، حاجزاً ومانعاً من فعل البرِّ، والخير، والإصلاح بين الخلق، بل كفِّروا عن اليمين، وافعلوا الخير، هذا أصحُّ ما قيل في تفسير الآية الكريمة.

الجزء الثاني سورة البقرة

لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ
قُلُوبُكُمْ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿٢٢٥﴾ لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَائِهِمْ تَرَبُّصُ
أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ ۖ فَإِن فَاءُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢٦﴾ وَإِنْ عَزَمُوا
الطَّلَاقَ فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٢٧﴾ وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ
بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ ۚ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي
أَرْحَامِهِنَّ إِن كُنَّ يُؤْمِنَّ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۚ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ
فِي ذَٰلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا ۚ وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ ۖ
وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ۗ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٢٨﴾ الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ ۖ
فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ ۗ وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن
تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا إِلَّا أَن يَخَافَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ
اللَّهِ ۖ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ
بِهِ ۗ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا ۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَٰئِكَ
هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٢٢٩﴾ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِن بَعْدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ
زَوْجًا غَيْرَهُ ۗ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَن يَتَرَاجَعَا إِن ظَنَّا أَن
يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ ۗ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٢٣٠﴾

﴿بِاللَّغْوِ﴾ اللغوُ: أن يحلف على الشيء، معتقداً صدقَهُ والأمرُ بخلافه، أو ما يجري على اللسان دون قصد اليمين، كقوله: "بلى واللّهِ، ولا واللّهِ" ﴿لِلَّذِينَ يُؤْلُونَ﴾ يحلفون أن لا يقربوا نساءهم للإضرار بهن ﴿تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ﴾ انتظار أربعة شهور ﴿فَإِن فَاءُوا﴾ رجعوا في المدة عمّا حلفوا عليه ﴿ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ﴾ ثلاث حِيَض أو ثلاثة أطهار ﴿وَبُعُولَتُهُنَّ﴾ أزواجهن ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ﴾ للزوجات من الحقوق والواجبات على أزواجهن، مثلُ ما للرجال عليهن من الحقوق ﴿وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ﴾ منزلة وفضيلة بالرعاية، والإنفاق، فهي درجةُ (تكليف) لا درجةُ (تشريف) ﴿الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ﴾ الطلاق الرجعيُّ الذي يحقُّ للزوج أن يراجعها فيه مرّتان: المرة الأولى، والثانية ﴿فَإِن طَلَّقَهَا﴾ المرة الثالثة ﴿تَنكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ﴾ فلا تحلُّ لزوجها حتى تتزوج بزوج آخر، بعد أن يدخل بها ثم يطلّقها، لقوله ﷺ لامرأة رفاعة: "حتى تذوقي عُسَيْلَته ويذوق عُسَيْلَتك" وهي كنايةٌ لطيفةٌ عن الجماع، وقولُه تعالى: ﴿فَإِن طَلَّقَهَا﴾ أي الزوج الثاني الذي دخل بها، لا الأول الذي طلّقها ثلاثاً، فتنبَّهْ.

كان الرجل في الجاهلية، يطلّق امرأته متى شاء، ثم يراجعها قبل أن تنقضي عدَّتُها، ولو طلَّقها ألف مرة، فعمد رجل لامرأته فقال لها: لا آويك - أي لا أتركك في عصمتي - ولا أدَعُكِ تحلّين لأحد!! فقالت: وكيف؟ قال: أطلّقك، فإذا دنا مضيُّ عِدَّتِك راجعتُك!! فشكت المرأةُ أمرها للنبي ﷺ، فأنزل الله قوله: ﴿الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ﴾ الآية.

﴿بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ﴾ قاربنَ انتهاء العِدَّة ﴿فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ﴾ راجعوهنَّ من غير إضرار، أو اتركوهن حتى تنقضي عدتهنَّ ويملكن أنفسهن ﴿وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا﴾ لا تراجعوهن إرادة الإضرار بهن، لتظلموهنَّ حتى يلجأن إلى الافتداء ﴿وَلَا تَتَّخِذُوٓا۟ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوًا﴾ سخرية واستهزاء، بالتهاون في تطبيق أوامر الله ﴿فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ﴾ لا تمنعوهنَّ أن يرجعن لأزواجهنَّ، إذا صلحت الأحوال بين الزوجين ﴿يُوعَظُ بِهِۦ﴾ يُنصح به أهلُ الإيمان، نزلت في «معقل بن يسار» زوَّج أخته رجلاً من المسلمين، فطلَّقها تطليقة لم يراجعها فيها حتى انقضت عدتها، ثم خطبها مع الخُطَّاب فقال له أخوها: يا لئيمُ أكرمتك وزوَّجتُك إيَّاها فطلَّقتها، لا واللَّهِ لا ترجع إليك أبداً!! فنزلت الآية، فدعاه فقال له: أزوِّجك وأكرمك ﴿إِصْلَٰحًا﴾ فطاماً ﴿تَسْتَرْضِعُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُمْ﴾ تطلبوا مرضعة لأولادكم ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾ لا إثم ولا حرج بشرط أن تدفعوا للمرضعة ما اتفقتم عليه من الأجر.

وقوله تعالى: ﴿وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ﴾ خبرٌ يراد به الأمر، أي الواجب على الوالدت أن يرضعن أولادهنَّ، والتعبيرُ بلفظ الوالدات دون قوله: (والمطلَّقاتُ) لاستعطافهن نحو الأولاد، فحصول الطلاق لهن، لا ينبغي أن يحرمهنَّ عاطفة الأمومة، والولد ليس أجنبياً عن الوالدين، هذه أمه وذاك أبوه، ومن حقِّه عليهما أن يُشفقا عليه، وأن لا تكون العداوة بينهما سبباً لضياعه.

الجزء الثاني — سورة البقرة

وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ
أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا ۖ فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ
فِيمَا فَعَلْنَ فِىٓ أَنفُسِهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ
٢٣٤ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِۦ مِنْ خِطْبَةِ ٱلنِّسَآءِ
أَوْ أَكْنَنتُمْ فِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ
وَلَٰكِن لَّا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلَّآ أَن تَقُولُوا۟ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ۚ
وَلَا تَعْزِمُوا۟ عُقْدَةَ ٱلنِّكَاحِ حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْكِتَٰبُ أَجَلَهُۥ ۚ
وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ فَٱحْذَرُوهُ ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟
أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ٢٣٥ لَّا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ
مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا۟ لَهُنَّ فَرِيضَةً ۖ وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى ٱلْمُوسِعِ
قَدَرُهُۥ وَعَلَى ٱلْمُقْتِرِ قَدَرُهُۥ مَتَٰعًۢا بِٱلْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ
٢٣٦ وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ
لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّآ أَن يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَا۟
ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ عُقْدَةُ ٱلنِّكَاحِ ۚ وَأَن تَعْفُوٓا۟ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۚ
وَلَا تَنسَوُا۟ ٱلْفَضْلَ بَيْنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ٢٣٧

﴿يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ﴾ يموتون من الرجال ﴿وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا﴾ يتركون زوجات بعد وفاتهم ﴿يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ﴾ على هؤلاء الزوجات أن يمكثن في العدة أربعة شهور وعشرة أيام، حداداً على أزواجهن، والحكمةُ من العِدَّة: الحفاظُ على الأنساب، والمراعاةُ للحقوق الزوجية، فالرابطة الزوجية أقدسُ رباط، فلا يصحُّ ذوقاً ولا أدباً أن تنسى الزوجةُ ذلك، فتترك الحداد على زوجها!! ﴿أَكْنَنتُمْ﴾ أخفيتم من الرغبة بالزواج بهن ﴿لَمْ تَمَسُّوهُنَّ﴾ ما لم تجامعوهنَّ، فالطلاق قبل المساس (الزفاف) جائز إذا كان هناك مصلحة ﴿وَمَتِّعُوهُنَّ﴾ ادفعوا لهن المتعة ﴿عَلَى الْمُوسِعِ قَدَرُهُ﴾ الغني بقدر غناه ﴿وَعَلَى الْمُقْتِرِ﴾ والفقير بقدر استطاعته ﴿فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً﴾ ذكرتم لهن مهراً معيناً ﴿فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ﴾ ادفعوا لها نصف المهر، ﴿وَلَا تَنسَوُا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ﴾ لا تنسوا الإحسان والجميل بين الزوجين، ليظل المعروفُ والإحسانُ صفةَ المؤمنين، حتى في حال الطلاق والفراق، فما أجمل وأروعَ شريعة الإسلام!؟

وقولُه ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ﴾ بيانٌ لجواز الخُلْع، وأولُ خُلْع حدث في الإسلام، كان في امرأة (ثابت بن قيس) أتت رسولَ الله ﷺ فقالت: (إن ثابتاً لا أعتبُ عليه في خُلُق، ولا في دِين، ولكنِّي أكرهُ الكُفْر في الإسلام، والله لا يجمعُ رأسي ورأسَه شيء أبداً!! فقال لها الرسول ﷺ: أتردِّينَ عليه حديقتَه!؟ قالت: نعم، فقال له الرسول الكريم: اقْبلِ الحديقةَ، وطلِّقها تطليقة) رواه البخاري.

الجزء الثاني — سورة البقرة

حَٰفِظُوا۟ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُوا۟ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ ﴿٢٣٨﴾ فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا ۖ فَإِذَآ أَمِنتُمْ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا۟ تَعْلَمُونَ ﴿٢٣٩﴾ وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا وَصِيَّةً لِّأَزْوَٰجِهِم مَّتَٰعًا إِلَى ٱلْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ ۚ فَإِنْ خَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِى مَا فَعَلْنَ فِىٓ أَنفُسِهِنَّ مِن مَّعْرُوفٍ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٤٠﴾ وَلِلْمُطَلَّقَٰتِ مَتَٰعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٢٤١﴾ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٤٢﴾ ۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُوا۟ ثُمَّ أَحْيَٰهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٢٤٣﴾ وَقَٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٤﴾ مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةً ۚ وَٱللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُۜطُ ۖ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٤٥﴾

﴿وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ﴾ صلاة العصر لأن الملائكة تشهدها ﴿وَقُومُوا۟ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ﴾ خاشعين ساكتين، عن زيد بن أرقم قال: "كنَّا نتكلمُ في الصلاة حتى نزلت الآيةُ، فأُمِرنا بالسكوت ونُهينا عن الكلام" رواه البخاري ﴿فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا﴾ فصلُّوا مُشاةً على أرجلكم، أو ركباناً على الدواب ﴿مَّتَٰعًا إِلَى ٱلْحَوْلِ﴾ يُمتَّعن بالنفقة والكسوة مدة العِدَّة لعام كامل، وكانت هذه هي العدة، ثم نُسخت إلى أربعة أشهر وعشرة أيام ﴿خَرَجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ﴾ هم قومٌ من بني إسرائيل دعاهم ملكهم إلى الجهاد، فهربوا من وجه عدوهم، فأماتهم الله بضعة أيام ثم أحياهم بدعوة نبيهم، وكانوا سبعين ألفاً ﴿حَذَرَ ٱلْمَوْتِ﴾ خوفاً من الموت وفراراً منه ﴿يَقْبِضُ وَيَبْصُۜطُ﴾ يُضيِّق ويوسِّع، على من يشاء من عباده، حسبما تقتضيه الحكمة والمصلحة، فلا تبخلوا بما وسَّع الله عليكم، وفي الآية تهديدٌ ضمنيٌّ لمن يبخل عن الإنفاق في سبيل الله.!

ذكر تعالى في سورة البقرة خبر إحياء الموتى في الدنيا في خمسة مواضع: في قصة أصحاب البقرة ﴿كَذَٰلِكَ يُحْىِ ٱللَّهُ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ وفي قصة عزير ﴿فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِاْئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُۥ﴾ وفي قصة الذين طلبوا رؤية الله من بني اسرائيل ﴿ثُمَّ بَعَثْنَٰكُم مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ﴾ وفي قصة إبراهيم ﴿رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ﴾؟ وفي قصة الذين خرجوا فراراً من الموت ﴿فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُوا۟ ثُمَّ أَحْيَٰهُمْ﴾ وكلُّها براهين قاطعة، تدلُّ على قدرة الله على إحياء البشر بعد الموت، ردًّا على المنكرين للبعث.

الجزء الثاني — سورة البقرة

أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلْمَلَإِ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ إِذْ قَالُوا۟ لِنَبِىٍّ لَّهُمُ ٱبْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ أَلَّا تُقَٰتِلُوا۟ ۖ قَالُوا۟ وَمَا لَنَآ أَلَّا نُقَٰتِلَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَٰرِنَا وَأَبْنَآئِنَا ۖ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ تَوَلَّوْا۟ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٤٦﴾ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا ۚ قَالُوٓا۟ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِٱلْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ ٱلْمَالِ ۚ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِى ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِ ۖ وَٱللَّهُ يُؤْتِى مُلْكَهُۥ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٧﴾ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ءَايَةَ مُلْكِهِۦٓ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَٰرُونَ تَحْمِلُهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٤٨﴾

﴿الْمَلَإِ﴾ وجوهُ القوم وأشرافُهم ﴿مِنْ بَعْدِ مُوسَىٰ﴾ من بعد موت موسى ﴿ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا﴾ اجعل علينا أميراً وقائداً لنقاتل معه في سبيل الله ﴿هَلْ عَسَيْتُمْ﴾ أخشى إن فُرض عليكم القتالُ أن لا تقاتلوا!! ﴿تَوَلَّوْا﴾ لمَّا فُرض عليهم القتال هربوا من وجه الأعداء ﴿إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ﴾ ثبتوا في الميدان ﴿أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا﴾ كيف يكون مَلِكاً علينا؟ ﴿وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ الْمَالِ﴾ وليس ذا ثروةٍ تجعله مستحقاً لهذه المكانة ﴿وَزَادَهُ بَسْطَةً﴾ خصَّه بالعلم الواسع، وقوة البدن، والعُمدة في الرئاسة: الرأيُ والتدبيرُ، والقوةُ في الجسد ﴿آيَةَ مُلْكِهِ﴾ علامة ملكه واصطفائه عليكم ﴿أَن يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ﴾ أن يحضر أمامكم الصندوق ﴿فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ فيه طمأنينة لقلوبكم ﴿وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَىٰ وَآلُ هَارُونَ﴾ وشيء من آثار موسى (كالعصا والقميص، والنعل، وبعض الألواح التي كتبت فيها التوراة) ﴿تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ﴾ يأتيكم هذا الصندوق تحمله الملائكة.

قال ابن عباس: جاءت الملائكة تحمل التابوت، حتى وضعته بين يدي طالوت، والناس ينظرون، فكان ذلك علامة لهم على اصطفاء طالوت للمُلْك، أما التابوت فهو (صندوق التوراة) الذي كان موسى عليه السلام إذا قاتل قدَّمه بين يديه، فتسكنُ نفوسُ بني إسرائيل، ولا يفرُّون من المعركة، كما كان فيه بقيةٌ من آثار موسى، وهي (العصا، والثياب، والعمامة) وإليه الإشارة بقوله: ﴿وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَىٰ وَآلُ هَارُونَ﴾.

سورة البقرة

فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُم
بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ
مِنِّي إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا
مِّنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا
لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالَ الَّذِينَ
يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَاقُوا اللَّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ
غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿٢٤٩﴾
وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ
عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ
الْكَافِرِينَ ﴿٢٥٠﴾ فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ
دَاوُودُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ
وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم
بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو
فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٢٥١﴾ تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ
نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٢٥٢﴾

﴿فَصَلَ طَالُوتُ﴾ خرج بالجيش وانفصل عن بيت المقدس ﴿مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ﴾ مختبركم في جهادكم بالمرور على نهر، وأنتم في حرٍّ وعطش ﴿فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي﴾ فلا يصحبني في هذا الجهاد ﴿وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي﴾ ومن لم يشرب من الماء فهو الذي يقاتل معنا ﴿غُرْفَةً بِيَدِهِ﴾ اكتفى بجرعة ماء بيده ليسدَّ عطشه ﴿فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ﴾ شرب الجيش إلا فئة قليلة صبرتْ على العطش، وهم الذين قاتل بهم الأعداء ﴿لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ﴾ لا قوة لنا على قتال جالوت وجنوده، لكثرتهم وقلّتنا ﴿أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا﴾ املأ قلوبنا بالثبات والصبر ﴿فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ هزموا أعداءهم بتأييد الله ونصرته ﴿وَقَتَلَ دَاوُودُ جَالُوتَ﴾ انتصر داود على الأعداء، وقتل رأسَ الطغيان (جالوت) ﴿وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ﴾ جمع الله لداود بين الملك والنبوة، فكان مَلِكاً نبياً، وعلَّمه العلم النافع الذي يسوس به بني إسرائيل، وقد افترى عليه اليهود فقالوا: إنه كان يدخل المعابد الوثنية، فيقيم فيها الطقوس الدينية، إرضاءً لرغبات زوجاته الوثنيّات، لعنهم الله وأخزاهم.

كان الجيش الذي خرج مع طالوت لقتال العمالقة (٨٠) ثمانين ألفاً، فيهم المؤمنُ، وضعيف الإيمان، والشجاعُ والجبانُ، فأخذ بهم في أرض قفرة، لا ظلّ فيها ولا ماء، فأصابهم حرٌّ وعطش شديد، وأراد أن يختبر صبرهم وطاعتهم، لأن الرجال إنما يعرفون وقت الشدائد والمحن، فلم يثبت معه إلّا (٤) أربعة آلاف، بهم قاتل وانتصر على الأعداء.

﴿ تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۘ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ ۖ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ ۚ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ۗ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلَ ٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ وَلَٰكِنِ ٱخْتَلَفُوا۟ فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُوا۟ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿٢٥٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنفِقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَٰعَةٌ ۗ وَٱلْكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٥٤﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾ لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ ۚ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥٦﴾

الجزء ٣ الحزب ٥

﴿ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ ﴾ الرسلُ الكرام يتفاضلون في الرفعة والمنزلة والمكانة عند الله ﴿ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ ﴾ كموسى ﴿ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ ﴾ كمحمد سيِّد الأولين والآخرين ﴿ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ ﴾ المعجزات الباهرات، كإحياء الموتى، وإبراء الأعمى والأبرص، والإخبار عن المغيَّبات ﴿ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ﴾ أيَّدناه وقوَّيناه بجبريل عليه السلام ﴿ خُلَّةٌ ﴾ لا تنفعها صداقة ﴿ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ﴾ الدائم الباقي، القائم على تدبير شؤون الخلق ﴿ سِنَةٌ ﴾ نعاسٌ ولا غمضةُ عين ﴿ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ﴾ أحاط كرسيه بالسموات والأرض، فكيف بالعرش العظيم الذي أحاط بالكرسي وبجميع المخلوقات؟ ﴿ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ﴾ لا يعجزه تعالى ولا يثقله حفظ الكون ﴿ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ ﴾ الهدى من الضلال ﴿ يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ ﴾ بالشيطان وبكل ما عُبد من دون الرحمن، من صنم ووثن ﴿ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ ﴾ الدين القوي ﴿ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا ﴾ لا انقطاع لهذا الحبل المتين، شبَّه المستمسك بالإسلام، بالمستمسك بالحبل القويّ المحكم، وهو تشبيه تمثيليٌّ رائع، في غاية الإبداع، والمراد بالسِّنة: غمضةُ العين، أي لا تأخذه غمضةُ عين، ولا نومٌ أصلاً، لأن النوم أخُ الموت، وربنا حيٌّ لا ينام ولا يموت، وفي الحديث: «إن الله لا ينامُ، ولا ينبغي له أن ينام، يخفضُ القِسطَ - أي الميزان - ويرفعه، حجابُه النورُ، لو كَشفه لأحرقتْ سُبُحاتُ وجهه، ما انتهى إليه بصرهُ من خلقه» رواه مسلم.

تنبيه: آيةُ الكرسي أعظم آيةٍ في القرآن، كما ورد بذلك الخبر عن رسول الله ﷺ أنه قال: (سورة البقرة، فيها آيةٌ هي سيِّدةُ آي القرآن: آيةُ الكرسي) رواه البيهقي.

اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ۖ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ ۗ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٥٧﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ ۗ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٢٥٨﴾ أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْيِي هَٰذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۖ فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ ۖ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ ۖ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۖ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ ۖ وَانظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِّلنَّاسِ ۖ وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا ۚ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٥٩﴾

﴿وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ ناصرُ المؤمنين وحافظهم ومتولي شئونهم ﴿يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ﴾ من ظلمات الكفر إلى نور الهداية والإيمان ﴿أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ﴾ أمّا الكفار فأولياؤهم الشياطين، يخرجونهم من نور الإيمان، إلى ظلمات الشرك والضلال ﴿حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ﴾ جادل إبراهيمَ في وجود الله، وهو الطاغية «النمرود» الجبار ﴿أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ﴾ هذا تعليلٌ أي لأنْ آتاه الله الملك، بَطِرَ وأنكر وجود الله، فقابل الجود والإحسان، بالكفر والطغيان ﴿فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ﴾ غُلب واندحر، وانقطعت حُجَّته، وأصبح متحيِّراً ﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ﴾ هو الرجل الصالح «عزير» والقرية هي (بيت المقدس) التي خرَّبها بختنصَّر المجوسي ﴿خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا﴾ مدمَّرة سقطت سقوفُها على جدرانها ﴿أَنَّىٰ يُحْيِي هَٰذِهِ اللَّهُ﴾ كيف يحييها الله بعد خرابها؟ ﴿لَمْ يَتَسَنَّهْ﴾ لم يتغيّر بمرور الزمن الطويل ﴿كَيْفَ نُنشِزُهَا﴾ كيف نركّبُ بعضَها فوق بعض، ثم نُحييها بقدرتنا فننفخ فيها الروح؟ نظر عُزَير فإذا بالحمار يقوم على رجليه ثم ينهق، أراه الله تعالى كيف أحيا العظام.

في قصة إبراهيم مع النمرود، أبدعُ طرق الإفحام في المناظرة، فإن إبراهيم لما قال له: إن ربي يحيي ويميتُ، كان جواب الأحمق له: وأنا أيضاً أحيي وأميت!! دعا رجلين من السجن، كان قد حكم عليهما بالإعدام، فأطلق سراح واحد وقال: هذا أحييتُه، وأمر بقطع عنق الثاني وقال: هذا أمتُّه!! ولما رأى الخليلُ إبراهيم حماقة السفيه، وشغَبه في الدليل، عدل إلى أمر آخر ﴿قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ﴾ فأسقط في يد السفيه، وانقطع أمام قوة الحجة.

الجزء الثالث — سورة البقرة

وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى ۖ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا ۚ وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦٠﴾ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّا۟ئَةُ حَبَّةٍ ۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦١﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَآ أَنفَقُوا۟ مَنًّا وَلَآ أَذًى ۙ لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٦٢﴾ قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَآ أَذًى ۗ وَٱللَّهُ غَنِىٌّ حَلِيمٌ ﴿٢٦٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُبْطِلُوا۟ صَدَقَٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ كَٱلَّذِى يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُۥ وَابِلٌ فَتَرَكَهُۥ صَلْدًا ۖ لَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَىْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٦٤﴾

﴿كَيْفَ تُحْيِ الْمَوْتَىٰ﴾ سأل إبراهيم عن الكيفية، ولم يسأل عن القدرة الإلهية، ولهذا أتى بصيغة «كيف» ولم يقل: هل تقدر على إحياء الموتى؟ ﴿فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ﴾ ضُمَّهُنَّ إليك ثم قطِّعهنَّ ﴿مِنْهُنَّ جُزْءًا﴾ فرِّق أجزاءهنَّ على رؤوس الجبال ﴿يَأْتِينَكَ سَعْيًا﴾ مسرعات، فأخذ إبراهيم «طاووساً، ونسراً، وغراباً، وديكاً» فذبحهنَّ وخلط بعضهنَّ ببعض، فتطايرت الأجزاء إلى بعضها، وعادت تسعى إليه ﴿مَنًّا وَلَا أَذًى﴾ لا يمنُّون على الفقير، ولا يؤذونه بذكر ذلك للناس، فينكسر قلبُ الفقير ﴿رِئَاءَ النَّاسِ﴾ للشهرة والرياء الذي يُبطل الإحسان ﴿كَمَثَلِ صَفْوَانٍ﴾ كمثل الحجر الأملس، عليه شيء من التراب ﴿فَتَرَكَهُ صَلْدًا﴾ أصابه مطر غزير شديد فذهب بالتراب، وترك الحجر أملس ليس عليه شيء، كذلك المرائي يذهب عمله الصالح أدراج الرياح. ضرب تعالى هذا المثل، لمن أبطل إحسانه ومعروفه، بالرياء وقصد الثناء. قوله تعالى ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ ..﴾ نزلت في (عثمان) و (عبد الرحمن بن عوف) حين جهَّز عثمان ألف بعير بأحلاسها وأقتابها، ووضع بين يدي رسول الله ألف دينار، فصار رسول الله ﷺ يُقلِّبها ويقول: ما ضرَّ عثمانَ ما فَعَل بعد اليوم! وجاء (ابن عوف) بأربعة آلاف درهم، وقال للرسول: هذا نصفُ مالي؟، أفرضتُه لربي!! فقال له المصطفى ﷺ: بارك الله لك فيما أعطيت، وفيما أمسكت، فنزلت الآية ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ ﴾ الآية.

الجزء الثالث — سورة البقرة

وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ
وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍۭ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ
فَـَٔاتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ
وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٦٥﴾ أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ
لَهُۥ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ لَهُۥ
فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَأَصَابَهُ ٱلْكِبَرُ وَلَهُۥ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَآءُ
فَأَصَابَهَآ إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَٱحْتَرَقَتْ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ
لَكُمُ ٱلْـَٔايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٦٦﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ
ءَامَنُوٓا۟ أَنفِقُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّآ أَخْرَجْنَا
لَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ ۖ وَلَا تَيَمَّمُوا۟ ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم
بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغْمِضُوا۟ فِيهِ ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ
﴿٢٦٧﴾ ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ
وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦٨﴾
يُؤْتِى ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ
أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٦٩﴾

﴿ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ ﴾ طلباً لرضوان الله ﴿ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ ﴾ تصديقاً ويقيناً بثواب الله ﴿ كَمَثَلِ جَنَّةٍۭ بِرَبْوَةٍ ﴾ كمثل بستان بمكانٍ مرتفع من الأرض ﴿ أَصَابَهَا وَابِلٌ ﴾ أصابها مطر غزير فأخرجت النبات والثمار مضاعفة ﴿ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ ﴾ إن لم ينزل عليها المطر الغزير، فبكفيها النَّدَى، لجودة الأرض، ولطافة الهواء ﴿ إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ ﴾ هذا تمثيل لنفقة المرائي والمنّان، مثّل له بإنسان عنده بستان، فيه من أنواع النخيل والأعناب والثمار، أصابته الشيخوخة وله أولادٌ صغار، لا يقدرون على العمل، وجاءت نار عظيمة أحرقت الشجر والثمر، كذلك عمل المنافق والمرائي، وهذا من روائع أمثال القرآن، في تصوير ضياع حسنات الإنسان، قال **الحسن البصري**: هذا مَثَلٌ قلّ واللّهِ من يعقله، شيخ كبير، ضعف جسْمُه، وكثُر صبيانه، أفقر ما كان إلى جنّته، فجاءها الإعصارُ فأحرقها، وإن أحدَكم أفقرُ ما يكون لعمله إذا انقطعت عنه الدنيا، تفسير ابن كثير.

وسأل عمر بن الخطاب رضي الله عنه، أصحاب النبي ﷺ يوماً فقال: فيمَ ترون هذه الآية نزلت ﴿ أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُۥ جَنَّةٌ ﴾؟ قالوا: الله تعالى أعلم، فغضب عمر وقال: قولوا نعلم أو لا نعلم!! فقال ابن عباس: في نفسي منها شيء يا أميرَ المؤمنين! فقال عمر: يا ابن أخي، قلْ ولا تحقِرْ نفسك!! فقال ابن عباس: (ضُرِبَت مثلاً لرجلٍ غني، يعمل بطاعة الله، ثم بُعث له الشيطانُ فعمل بالمعاصي، حتى أغرق أعماله) رواه البخاري.

وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ
يَعْلَمُهُۥ ۗ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٢٧٠﴾ إِن تُبْدُوا۟
ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِىَ ۖ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ
فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّـَٔاتِكُمْ ۗ
وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٧١﴾ ۞ لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ
وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۗ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ
فَلِأَنفُسِكُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ ٱللَّهِ ۚ
وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ
﴿٢٧٢﴾ لِلْفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحْصِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ
لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِى ٱلْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ
ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَٰهُمْ
لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا ۗ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ
فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٢٧٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم
بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ
رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٧٤﴾

﴿ وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ ﴾ ما أدَّيتم من زكاةٍ أو صدقةٍ ﴿ مِّن نَّذْرٍ ﴾ أو نذرتم لله نذراً فوفَّيتم فيه ﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُهُۥ ﴾ يجازيكم عليه ﴿ أَنصَارٍ ﴾

الصدقاتُ تكون لهؤلاء الذين حَبَسُوا أنفسهم للجهاد في سبيل الله ﴿ ضَرْبًا فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ لا يستطيعون السفر للتجارة والتكسب ﴿ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ ﴾ بظنهم الذي لا يعرف حالهم أنهم أغنياء من شدة تعفُّفهم ﴿ تَعْرِفُهُم بِسِيمَٰهُمْ ﴾ تعرفهم بعلامتهم الواضحة ﴿ إِلْحَافًا ﴾ لا يُلِحُّون في السؤال، مع حاجتهم الماسَّة للمال ﴿ بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ ﴾ يتصدَّقون وينفقون على الدوام، لا يبخلون بالإنفاق ﴿ سِرًّا وَعَلَانِيَةً ﴾ في السرِّ والجهر ﴿ فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ ﴾ لهم ثواب ما أنفقوا ﴿ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ ﴾ يوم القيامة ﴿ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ على ما فاتهم في الدنيا، مرَّ رجل على سائل يطلب من الناس الإحسانَ، وهو يقول: أين الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله؟ فقال له الرجل: ذهبوا مع الذين لا يسألون الناسَ إلحافاً!!

روى القرطبي عن (سعيد بن جُبير) أنه قال: إن المسلمين كانوا يتصدَّقون على أهل الذمة - من اليهود والنصارى - فلما كثُر فقراءُ المسلمين، قال النبي ﷺ لأصحابه: لا تتصدَّقوا إلَّا على أهل دينكم من المسلمين!! فنزلت هذه الآية ﴿ لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ﴾ تُبيح لهم الصدقة على غير أهل الإسلام.

أقول: وهذا في غير الزكاة، لأنها خاصة بالمسلمين وإنما في صدقة التطوع يُعطى منها لأهل الكتاب.

ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰا۟ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى
يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْبَيْعُ
مِثْلُ ٱلرِّبَوٰا۟ ۗ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰا۟ ۚ فَمَن جَآءَهُۥ مَوْعِظَةٌ
مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ عَادَ
فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٧٥﴾ يَمْحَقُ
ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰا۟ وَيُرْبِى ٱلصَّدَقَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ﴿٢٧٦﴾
إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ
وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ
وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٧٧﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ
وَذَرُوا۟ مَا بَقِىَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟
فَأْذَنُوا۟ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۖ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ
أَمْوَٰلِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٩﴾ وَإِن كَانَ
ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ ۚ وَأَن تَصَدَّقُوا۟ خَيْرٌ لَّكُمْ
إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٨٠﴾ وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى
ٱللَّهِ ۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٨١﴾

﴿يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰا۟﴾ يتعاملون بالربا ويمتصُّون دماء البشر ﴿يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ لا يقومون من قبورهم إلا كالمصروع المجنون، الذي به مسٌّ من الجنّ، استحلُّوا الربا تشبيهاً له بالبيع، وهذا من تلبيس إبليس عليهم ﴿وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰا۟﴾ أحلَّ البيعَ لما فيه من تبادل المنافع، وحرَّم الربا لما فيه من الضرر القادح ﴿يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰا۟﴾ يُنقِصُه ويُذهِبُ بركتَه ﴿وَيُرْبِى ٱلصَّدَقَٰتِ﴾ يزيدها ويُنمِّيها ويبارك فيها ﴿كَفَّارٍ أَثِيمٍ﴾ شديد الكفر بالله، كثير الفجور والإجرام ﴿وَذَرُوا۟﴾ اتركوا مالكم من الربا عند الناس ﴿فَأْذَنُوا۟ بِحَرْبٍ﴾ فأيقنوا بحربٍ من اللَّهِ ورسوله لكم ﴿ذُو عُسْرَةٍ﴾ إذا كان المستدين معسراً ﴿فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ﴾ أمهلوه إلى وقت اليسر ﴿وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا﴾ خافوا ذلك اليومَ العصيبَ الرهيبَ، وهذه آخر آية نزلت من القرآن، وبنزولها انقطع الوحيُ، وقد عاش النبي بعدها تسع ليالٍ، ثم انتقل إلى الرفيق الأعلى. وفي الآية التذكير للبشر بالوقفة الكبرى، بين يديْ أحكم الحاكمين.! ويا شقاء المرابين في ذلك اليوم الرهيب!!

اليهود لعنهم الله، هم الذين أشاعوا الربا بين الناس، ليمتصُّوا دماء البشر، واستحلُّوه في ما بينهم وهو محرَّم عليهم في التوراة، لذلك غضب الله عليهم، ومسخهم إلى قردة وخنازير ﴿وَأَخْذِهِمُ ٱلرِّبَوٰا۟ وَقَدْ نُهُوا۟ عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ﴾ وقد اقتدى بهم بعضُ المسلمين في زماننا، فتعاملوا بالربا، وهو جريمةُ الجرائم، وأعظم الكبائر عند الله ، فأصبحوا على حافةِ الكفر، ونار صقر، لأن الله تعالى يقول: ﴿وَمَنْ عَادَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾.

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى
فَٱكْتُبُوهُ ۚ وَلْيَكْتُب بَّيْنَكُمْ كَاتِبٌۢ بِٱلْعَدْلِ ۖ وَلَا يَأْبَ
كَاتِبٌ أَن يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ ٱللَّهُ ۚ فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ
ٱلَّذِى عَلَيْهِ ٱلْحَقُّ وَلْيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ وَلَا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْـًٔا ۚ
فَإِن كَانَ ٱلَّذِى عَلَيْهِ ٱلْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ
أَن يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُۥ بِٱلْعَدْلِ ۚ وَٱسْتَشْهِدُوا۟ شَهِيدَيْنِ
مِن رِّجَالِكُمْ ۖ فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَٱمْرَأَتَانِ
مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ أَن تَضِلَّ إِحْدَىٰهُمَا فَتُذَكِّرَ
إِحْدَىٰهُمَا ٱلْأُخْرَىٰ ۚ وَلَا يَأْبَ ٱلشُّهَدَآءُ إِذَا مَا دُعُوا۟ ۚ وَلَا تَسْـَٔمُوٓا۟
أَن تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَىٰٓ أَجَلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ أَقْسَطُ
عِندَ ٱللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَٰدَةِ وَأَدْنَىٰٓ أَلَّا تَرْتَابُوٓا۟ ۖ إِلَّآ أَن تَكُونَ
تِجَٰرَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ
أَلَّا تَكْتُبُوهَا ۗ وَأَشْهِدُوٓا۟ إِذَا تَبَايَعْتُمْ ۖ وَلَا يُضَآرَّ كَاتِبٌ
وَلَا شَهِيدٌ ۚ وَإِن تَفْعَلُوا۟ فَإِنَّهُۥ فُسُوقٌۢ بِكُمْ ۗ وَٱتَّقُوا۟
ٱللَّهَ ۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٨٢﴾

﴿ بِدَيْنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٍ ﴾ إرشادٌ من الله تعالى إلى كتابة الدَّيْن، حفاظاً على الحقوق المالية ﴿ كَاتِبٌۢ بِٱلْعَدْلِ ﴾ يكتب هذه المعاملات إنسان عادل، مأمون في دينه وتعامله ﴿ وَلْيُمْلِلِ ٱلَّذِى عَلَيْهِ ٱلْحَقُّ ﴾ يُملي عليه ويقرُّ ويعترف المديون، وليكتب الكاتبُ بما يسمع منه ﴿ وَلَا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْـًٔا ﴾ لا يُنقِص من الحقِّ شيئاً ﴿ سَفِيهًا ﴾ ناقص العقل ﴿ أَوْ ضَعِيفًا ﴾ صبيًّا أو كبير السن ﴿ وَلِيُّهُۥ بِٱلْعَدْلِ ﴾ وكيلُه والقيِّمُ على شؤونه بالعدل، من غير نقص ولا زيادة ﴿ مِّمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ ﴾ ممن يُوثق بدينه وعدالته ﴿ وَلَا تَسْـَٔمُوٓا۟ ﴾ لا تضجروا وتملُّوا أن تكتبوا الدَّيْن، صغيراً كان أو كبيراً ﴿ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ ﴾ أعدلُ في حكم الله وشرعه ﴿ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَٰدَةِ ﴾ أعونُ على أداء الشهادة على الوجه العادل ﴿ فُسُوقٌۢ بِكُمْ ﴾ إن تفعلوا ما حُرِّم عليكم أصبحتم عُصاة فسقة، لأنكم خرجتم عن الطريق السويِّ بمخالفتكم أمرَ الله.

تذكير: هذه أطول آية في القرآن الكريم، نزلت في (أمر الدَّيْن) والحقوق المالية، ولم تنزل في أمور العبادات، لأن المال عصَبُ الحياة، يحتاج إليه كل إنسان، وهذا يدل على عناية الإسلام بهذا الجانب الهام في حياة البشر (الجانب الاقتصادي) ولذلك أرشد تعالى إلى طرق حفظه وتنميته، وحذَّر من أكل أموال الناس بالباطل ﴿لَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ..﴾ الآية.

﴿ وَإِن كُنتُمْ عَلَىٰ سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا۟ كَاتِبًا فَرِهَٰنٌ مَّقْبُوضَةٌ ۖ فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ ٱلَّذِى ٱؤْتُمِنَ أَمَٰنَتَهُۥ وَلْيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ ۗ وَلَا تَكْتُمُوا۟ ٱلشَّهَٰدَةَ ۚ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُۥٓ ءَاثِمٌ قَلْبُهُۥ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٢٨٣﴾ لِّلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَإِن تُبْدُوا۟ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ ۖ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٨٤﴾ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ ۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ ۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٨٦﴾

﴿ وَإِن كُنتُمْ عَلَىٰ سَفَرٍ ﴾ إذا كنتم في السفر، ﴿ وَلَمْ تَجِدُوا۟ كَاتِبًا ﴾ يكتب لكم الدَّيْن، فاستوثقوا بأخذ الرهن، ولْيكنْ مقبوضاً ﴿ فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا ﴾ إذا أمِنَ الدائنُ المدينَ فاستغنى عن الرهن ﴿ فَلْيُؤَدِّ ٱلَّذِى ٱؤْتُمِنَ أَمَٰنَتَهُۥ ﴾ فلْيؤدِّ المدينُ الحقَّ الذي في ذمته ﴿ وَلَا تَكْتُمُوا۟ ٱلشَّهَٰدَةَ ۚ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُۥٓ ءَاثِمٌ قَلْبُهُۥ ﴾ من كتم الشهادة فهو مجرمٌ أثيم، لأنه ضيَّع الحقوق ﴿ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ ﴾ يجازيكم عليه، ولمَّا نزلت نَقُل ذلك على أصحاب رسول الله فقال لهم ﷺ: قولوا سمعنا وأطعنا، فأنزل الله بعدها ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ ﴾ ما في طاقتها وقدرتها ﴿ لَهَا مَا كَسَبَتْ ﴾ لها جزاء ما عملت من خير ﴿ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ۗ ﴾ وعليها جزاء ما اقترفت من شر ﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ ﴾ لا تكلِّفنا بالتكاليف الشاقة التي تصعب علينا ﴿ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ۚ ﴾ استر سيِّئاتنا يوم الحشر الأكبر ﴿ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ ۖ ﴾ ناصرنا ومتولي أمورنا ﴿ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ ۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ انصرنا على أعداء دينك الكفرة المجرمين، وفي الحديث: «أن مَلَكاً أتى النبيَّ ﷺ فقال له: أبشرْ بنورين قد أوتيتَهما، لم يُؤتهنَّ نبيٌّ قبلكَ: فاتحة الكتاب، وخواتيم سورة البقرة، لن تقرأ حرفاً منهما إلَّا أوتيته» رواه مسلم.

وروى مسلم أنه لمَّا نزلت هذه الآية ﴿ وَإِن تُبْدُوا۟ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ ﴾ ثَقُل ذلك على أصحاب النبي ﷺ وشقَّ عليهم، فجاءوا إلى رسول الله ﷺ وقالوا له: لقد كُلِّفنا من العمل ما لانطيق!! فقال لهم ﷺ: أتريدون أن تقولوا كما قال أهل الكتاب: سمعنا وعصينا!! قولوا: سمعنا وأطعنا، فأنزل الله قوله: ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ ... ﴾ الآية، رواه مسلم.